د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

ابدأ حياتك من جديد

فصول في عناق المجد،
وأحاديث للناهضين في الحياة،
وأفكار تخاطب العقل والقلب،
ومشاهد مدهشة للراغبين
في صناعة الفرق.




ابدأ حياتك
مـن جـديـد



الطبعة الخامسة

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

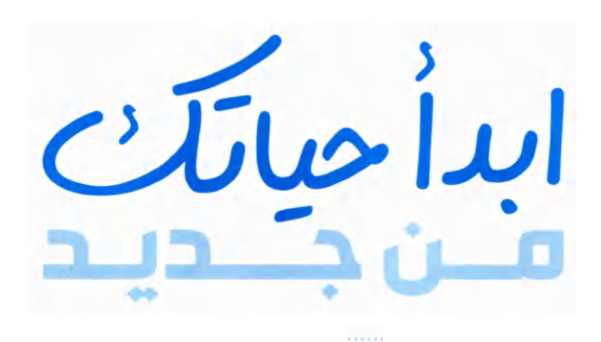
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي



فصول في عناق المجد،
وأحاديث للناهضين في الحياة،
وأفكار تخاطب العقل والقلب،
ومشاهد مدهشة للراغبين في صناعة الفرق.




بسم الله الرحمن الرحيم

من أحاديث القراء

• كتـــاب أوراقـــه روح، وكلماته محفِّــزة للنفس للعودة بها إلى سمو المعالي.. كتاب يوقف كل نزيف انكسار، ويخفي كل ندبة خيبة أمل، موقفاً لكل دمعة حســـرة.. بعد انتهائي من قراءته قررت تشييع ودفن كل شعور بالانكسار، وكل إحساس بفقدان الأمل.

محمد الشيخي

• بسيط بأسلوب عظيم وراقٍ جدّاً، سطوره مفعمة بكل معاني الجمال في الحياة، أرجع له كلما أردت أن أستنشـــق جمال الحياة من جديد.. الكتاب روعة لمـــن أراد أن يطوِّر حياته، ويضـــع بصمة قبل رحيله منها.

مارية محمد

• بالفعل جعلني أبدأ كتابة حياتي من جديد.

آسية الدريهم

• اعتدت من فترة ألَّا أقرأ في كتب تطوير الذات العربية؛ لقناعتي بعدم وجود أي فائدة تستحق الذكر، لكن هذا الكتاب غيَّر نظرتي السابقة، وأنصح بقراءته خصوصاً لمن لم يحدِّد وجهته في الحياة بشكل واضح.

يزيد

• هذا الكتاب من أروع كتب تطوير الذات، أعجبت بأسلوب الكاتب؛ فهو جمع بين الإيمان والتنمية البشرية.. لغة راقية جدّاً، من أراد كتاباً في تطوير الذات فهذا يكفيه.

ندى علي

• أبرز ما لامس شعوري أثناء القراءة ذلك الحرص والإشفاق والمحبة التي تفيض بها لغة

الكاتب، لكأنك تسـمعه بأذنك يحدِّثك ويهمس لك ويقوِّيك ويحفِّزك.

ماريا الخطيب

• من مكتب المسجد النبوي بدأت رحلة النجاح من أسطر كتابك: (ابدأ كتابة حياتك). مجهول

• كتابك خالج عقلي فلم أجـد للنوم راحة، بتُّ أتلذذ به، كم أسرني وأيقظ شعلة الهمة في أعماقي، قريباً سـتراني بإذن الله تعالى بهمم تجاوز ناطحات السحاب.

مجهول

• أهنِّئ نفسـي قبل تهنئتك بكتـاب: (ابدأ كتابة حياتك).. اسـتمتعت البارحة.. عبارة سهلة ونماذج معاصرة مشـرقة، ولا أدري ما أقول لك سـوى أني أسأل الله تعالى لك التوفيق.

أحمد طارق العليان

• قرأت كتابك، ومنذ ثلاثة أيام وأنا أشـــعر بأنني أريد أن أركض نحو أهدافي ومشـــروعي في الحياة، أشعر بحرفه يلامس شغاف قلبي، فتبكي عيوني حبّاً وشـــوقاً وألماً في الوقت ذاته، وأنا التي طالما كانت تحلم بالاستثناء.

أخبركم اليوم أنـــي أولد من جديد، وأســـأل الله تعالى أن يجزيكم عنا خير الجزاء، وأن يوفقنا فتبصر أحلامنا الدنيا من جديد.

وفاء إبراهيم الباغور من الكويت



إهـــداء

• إلى الراغبين فـــي النجاح، المؤمنين بأن الحياة فرصة لصناعة المجد وكتابة التاريخ.

- إلى المقتنعين بأن لديهـــم ما يجعلهم في عداد الناهضين.

- إلى الذين يشـــتاقون للنجاح ويســـألون: كيف يصعدون الجبل، ويبلغون القمة التي يريدون؟.

- إلى كل من تأخر عن بناء نفسه وصناعة واقعه، وأقبل يبحث جادّاً عن الطريق.

- إلى القاعد المتأسِّف على فوات زمانه، وضياع فرصه، وتحديات واقعه.

- إلى كل هؤلاء..

قوموا إلى ربيع الحياة من جديد.

• إلى الحبِّ الكبير، إلى أمـــي؛ التي تقعد باكية لفوات فضيلـــة على أبنائها، وتشـــرق روحها للمجد ألف مرة حين ترى الحياة في واقعهم..

- إلـــى أبي؛ الذي مـــا زال ينفق علينـــا من عرقه وجهده وماله حتى هذه اللحظة..

- إلى زوجي؛ التي هي خلـــف كل حرف جَادَ به القلم في الحديث عن المشاريع والعمل والبناء..

- إلى أبنائي؛ الحلم الكبير..

- إلـــى كل صديق يمـــلأ قلوبنـــا ربيعـــاً بالوفاء والحب.

• **أهـــدي إليكم جميعـــاً أول حـــرف يجري في القلوب دون عناء: ابدأ حياتك من جديد!.**

***

المقدمة

- **أعترف للمرة الألف أني أراك كل شيء،** وأعذبُ أيام عمري كلها تلك التي أخاطب فيها قلوب الناهضين في الحياة، ومشاعر الجادين في الطريق، وحنين الشوق يدفعني في كل منهم إلى الذكريات!.

- **وأحلف يميناً أنني ما كتبت يوماً بمعزل عن مشاعري،** وفي مرات كثيرة يشدُّني شوق الحرف للدرجة التي أود أن أكتب فيها واقفاً تعبيراً عن تلك المشاعر التي حكيت لك! وما الحياة يا صاحبي إن لم تكن بهذا المعنى الكبير.

- **ما زلت مولعاً بالأفكار والمفاهيم وبناء التصورات، وأحسب أنها كل شيء في بناء الإنسان.**

- وقد قلت مراراً وما زلت أردِّد: إذا رأيت مجتمعاً متكاتفاً متعاوناً متآزراً، تجري فيه أحداث الحياة،

فاعلــم أنَّ الله تعالى رزقه بناهضٍ بــدَّدَ ظلام جهله، وأغار على حكايات الجاهلية في مســاحاته، وأورده النعيم أو يكاد!.

- وإذا رأيــت مجتمعــاً متخلِّفــاً مشــتَّتاً ضائعاً متخاصماً، فاعلم أنَّ الله تعالى لم يمنَّ عليه بصاحب راية يُجري في مساحاته الحياة.

• **هذا كتاب (ابــدأ حياتك من جديــد)** للناجح الذي يشتاق لحديث الجادِّين الناهضين، وللمدهش في مساحته الذي ينتظر فجراً يعينه على تبديد حادس الظلام..

- **وهو في الوقت ذاته للمتشائم من زمانه**، الباكي على فوات الفرص من واقعه، للذين يشــتكون ظلام الليل وقد آن أوان الفجر في أرجاء الدنيا كلها.

- **لكل هؤلاء أزفُّ إليهم كتابي (ابدأ حياتك من جديد)** في طبعته الخامسة، وقد أبقيت على عناوينه، وتصرَّفت تصرُّفاً كليّاً في موضوعاته، وأعدت صياغة عنوانه، وأنقصت بعضاً منه حتى يأتي خفيفاً متوافقاً مع رفاقه، وأحســب أنني والجُ إلى قلبك دون عناء،

ومخاطبٌ مشـــاعرك دون تكلُّف، ودافعٌ بك للمجد من أول الطريق.

• والله المسؤول أن يتولّاه بتوفيقه، وأن يجري فيه البركة والتوفيق، وأن يجعله ذخراً في الدارين.

المؤلف
د. مشعل بن عبد العزيز الفلاحي
المملكة العربية السعودية ـ محافظة القنفذة ـ حلي
Mashal001@gmail.com



ابدأ صفحة جديدة

• **الأخطاء التي وقعنا فيها هي الأرض الصُّلبة التي نصعد عليها في مستقبل الأيام**، وعثراتنا هي الوقود الذي سيدفعنا للحياة من جديد! وصدق الأول حين قال:

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط!

حتى نبينا ﷺ جرت عليه أحداث الخطأ، وما زلنا نقرأ عتاب الوحي له في كل حين: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٤].

كل الذين تراهم يا صاحبي من الناجحين هم بشر مثلك وقعوا في الخطأ، وسقطوا مراراً في عرض الطريق، ثم قاموا فأصلحوا أخطاءهم، وغيَّروا قناعاتهم، وبدؤوا من جديد، وهاهم اليوم في مشاهد العزِّ كما تراهم، وما من ناجح إلَّا وقد ذاق مرارة

الخطأ، وتجرَّع علقم الأحداث، واكتوى بمشاهد العذاب حتى بلغ منها في النهايات مناه.

• **أدعوك هذه اللحظة التي تقرأ فيها حرف مشاعري أن تقوم من فراش نومك، وتنفض غبار كسلك، وتدفع عنك أوهام الماضي، وتبدأ صفحة جديدة من حياتك؛ فما لك وللأحزان؟!.**

- هب أنك فشلت في دراسة! أو وقعت في جريمة! أو أخفقت في مسابقة! أو كنت فريسة لنافخ كير! ثم ماذا؟.. لا البكاء سيرد ماضيك، ولا الحزن سيبعث في قلبك مواطن الفرح، وزمانك أكبر من أن يضيع في الحسرات! ومثلك لا يليق به البكاء وفي عمرك القادم ألف فرصة!.

- **إذا دهمك اليأس، وضاقت بك الحياة لتلك الأخطاء التي وقعت فيها، فيمِّمْ وجهك لكتاب الله تعالى**، واقرأ فصول تلك الرحمة التي يمنُّ الله تعالى بها على عباده المخطئين حين يعفو عن الكفر بكل تفاصيله للحظة توبة وندم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وحين يَمُنُّ على المسرفين: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

- **وحين يخبرك رسولك** ﷺ بأنَّ هذا المعنى لا ينقطع ما بقيت الدنيا: «**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَبِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» فما لك وللقنوط؟!..

- **لقد صرخ الغزالي** رحمه الله تعالى **في أذنيك قائلاً: لا تعلّق نفسك على أمنية يلدها الغيب، فإنَّ هذا الإرجاء لن يعود عليك بخير**.. الحاضر القريب الماثل بين يديك، ونفسك هذه التي بين جنبيك، والظروف الباسمة أو الكالحة التي تلتف حواليك؛ هي وحدها الدعائم التي يتمخّض عنها مستقبلك، فلا مكان لإبطاء، أو انتظار. اهـ.

- وقد قال ربك تعالى: «**يا بنَ آدم، إنَّك ما دَعَوْتَنِي ورَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ على ما كان فيكَ ولَا أُبالي. يا بنَ آدم، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ، ثمَّ استغفرْتَني، غفرتُ لك ولا أُبالي. يا بنَ آدم، إنَّك**

لو أتيتَني بِقُرابِ الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيك بِقُرَابها مغفرةً».

• **لقد قتل رجل مئة نفس**، وحين وجد مضَّ الخطيئة وألم المعصية وحرارة الشقاء لقي عالِماً، فسأله عن المخرج، فدله على الخروج من بلدته، والبحث عن وسط آخر يستعين به على ما في قلبه من الخير.. ثم مات في منتصف الطريق، بين أرض معصيته التي خلّف فيها الدماء، وأرض أحلامه التي أقبل إليها تائباً نادماً..

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ملائكة الرحمة تقول: جاء تائباً مقبلاً، وملائكة العذاب تقول: إنَّه لم يعمل خيراً قط! فحُكم بينهم بأن تقاس المسافة ما بين الأرضَيْن؛ فإن كان إلى الأرض الصالحة أقرب فهو من أهل الجنة، وإن كان أقرب إلى أرض السوء التي خرج منها فهو من أهل النار..

تدري ما الذي حدث! كانت المسافة متساوية، وأراد الله تعالى رحمة عبده، فأوحى الله تعالى إلى الأرض الطيبة: أن تقاربي شبراً!..

- **أفتظنُّ بأنَّ ربّاً يجازي عبداً على مشاعره ونيته، ويتجاوز عن خطيئته، ويلقي به في الجنان رغم الدماء التي أهدرها؛ لا يدركك بتوبة!** ولا يلقي بك في نهر الحياة! ولا يعيدك لأيام الرواء من جديد!.

ماذا لو قيل لك: بأنَّ الله تعالى يفرح لتوبتك وإقبالك عليه أعظم من فرح إنسان بلقيا دابته التي كان عليها طعامه وشرابه في صحراء، بعد أن ضاعت منه، فقال حين لقائها: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك» أخطأ من شدة الفرح!.

- ثم ما أنت قائل ورسول الله ﷺ يقول لك: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».**

يا صاحبي قم فانفض عنك غبار الأوهام، وانزع عنك يأس الخائفين، واصدق مع ربك، وابدأ صفحة جديدة، وابدأ مشوارك من جديد، وستحين بإذن الله تعالى مواعيد الربيع.



«كل ابن آدم خطَّاء» هذا قَدَرُك، وقَدَرُك الآخر أن تصنع من الخطأ ألف محاولة للتصحيح.

* * *



احتفل بيومك

• **أيامنا التي نعيشها هي أحلامنا التي ننتظرها!** كم من منتظر للغد وحين يلقاه لا يصنع فيه شيئاً مدهشاً!.

ـ **احتفل بيومك كأعظم فرصة تراها في عرض الطريق**، وتذكر وأنت تزف تباشير الفرح بذلك اليوم قول رسولك ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافىً فِي جَسَدِهِ، آمِناً فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**». فما لك وللغد؟!..

كم من يوم أصبحت فيه معافىً وغيرك في ظروف المرض! ومستوراً وغيرك في خزايا الندم، وحرّاً طليقاً وغيرك في غياهب السجون! فما لك ولظنون الغيب وأنت تجري في فلك النعم!.

• **اليأس يا صديقي لا يصنع سوى الموت! وارتقاب مفاجآت الغد الحزين لا تولِّد إلَّا الأمراض!**

وكم في غدك من أفراح ماتت ألف مرة من تشاؤمك! ولا أجد لك حرفاً يداوي همَّك إلَّا أن أقول لك: من كمال عقلك ألَّا تبعثر فرحــة يومك في انتظار غدٍ لم يولد في الكون بعد!.

- إذا لم تجد وظيفةً تناسبك، ولا مالاً يسد دينك، ولا مكانةً تليق بموقعــك، فتذكر أن أفراحك القادمة فوق تصورك، وقد جرى قلم القدر بكل ذلك قبل أن تُخلق الســماوات والأرض بخمســين ألف ســنة، وكُتبت **لحظات عمــرك وأنت في بطــن أمك؛ فلمَ القلق وفي الغد ألف مشهد للفرح؟!..**

- لماذا ترهق نفســك بالتفكير في مواليد الغيب وما لك فيها ســوى القدر «**واعْلَــمْ أنَّ ما أصابَكَ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وما أخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَــوِ اجْتَمَعُــوا على أنْ ينفعوكَ بشــيءٍ، لم ينفعوك إلَّا بشيء قد كَتَبَهُ الله تعالى لك، ولَوِ اجتمعوا على أن يضروك بشــيءٍ، لم يضرُّوك إلَّا بشــيءٍ قد كَتَبَــهُ الله تعالى عليــكَ.. رُفِعَــتِ الأقْــلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**».

- **حدِّث نبيك ﷺ بحديث يستنهض روحك، ويدفعك للتركيز على يومك،** ويشدُّ قوسك على لحظتك التي تعيشها، فقال لك في أحلك الظروف وأعسر المواقف: «**إذَا قَامتِ السَّاعةُ وفي يدِ أَحَدِكم فَسِيلةٌ فَاسْتَطَاعَ أَلَّا يموتَ حتَّى يَغْرِسَها فَلْيَغْرِسْها**».

يعلِّمك ﷺ ويدلُّك على أن استثمار لحظتك أثمن لك من كل شيء.

والفقه ذاته يدلك عليه ابن عمر رضي الله عنه، حين قال: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

وصدق من قال: أتدري كيف يسرق من المرء عمره؟ يذهل عن يومه في ارتقاب غده، ولا يزال كذلك حتى ينقضي أجله ويده صفر من كل خير. اهـ.

- **إذا أصبح الفجر فيمِّم قلبك إلى كل لحظة فيه، واستثمر كل لحظة منه، وآمن ألف مرة أن في لحظاته ألف ميلاد لقلبك ومشاعرك، وكم من قليل جاء في موازين الغد كبير وعظيم!.**



«إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» ولو أظلم زمانك كله فلن تعدم مساحة للغرس والبناء.

* * *



٣
الثقة تصنع الأحداث

• **لم أجد في حياتي كلها حتى الآن ناجحاً مدهشاً غير واثق في قدراته وطاقاته وإمكاناته التي أمدَّه الله تعالى بها**، ومن يعاني أزمة ثقة في تلك القدرات والطاقات والإمكانات فلن يبرح مساحته التي يقف عليها، وسيكون مع الأيام تمثالاً يصلح شاهداً للحسرات!.

هَبْ أنَّ ثمة مواقف عرضت لك في صغرك، أو في أثناء دراستك، أو حتى في جزء كبير من حياتك.. هَبْ أن أسرتك مارست عليك نوعاً من العنف أفقدك مع الأيام كثيراً من الثقة، من الذي قال لك: إنه لا سبيل لتجاوز تلك العقبات التي واجهتها، ولا طريق للخروج من أنفاق الظلام التي عشتها؟! من أقنعك بأن ذلك تراث وتاريخ لا يزول؟!..

• **يا صديقي!.. كل الناجحين بلا استثناء واجهوا عقبات، واصطدموا بمشكلات، وعانوا مرارة الطريق،**

ولكنَّهم في الوقت ذاته كانوا مؤمنين بأن لذائذ الفرح لا تقوم إلَّا على عرق الجبين!.

• **أضخم المعارك يا صديقي ليست تلك التي تدار على مستوى الدول والأمم، ولكنَّها تلك التي تُدار رحاها في نفسك،** وتجري أحداثها في مشاعرك، وتبلغ منك كل شيء، ولا يراها أحد من العالمين من حولك، وقد قال الأول: حين تبدأ المعركة مع نفسك فقد آن أوان النصر، وحان موعد الحياة، فكن في مستوى الحدث.

- **فإن سألت:** وكيف السبيل إلى ذلك المعنى؟ وما الطريق إلى استعادة تلك الروح؟ ومن أين أبدأ أحلامي التي طال انتظارها؟!.

- **فالجواب يا صديقي:** أن تدلف أولاً إلى مشاعرك فتنفخ فيها روح العلا والمجد، وتأتي إلى قلبك الذي أمضَّه الانتظار فتوقد فيه قناديل المجد، ثم تمضي لا تلوي عنقاً على أصوات المثبِّطين من خلفك، حتى تبلغ قمة الجبل، وتقف على ذرا المجد، فيرى العالم من حولك قصة نضالك حقيقةً لا تقبل الجَدل.

- **أتدري ما الـذي قعد بالمخفقين الفاشـلين؟! قناعاتهم يـا صاحبي التي كانـت تحاصرهم وتلقي إليهم بالأوهام وتقنعهم بـأن الواقع أكبر منهم**، وهم أقل من أن يسجلوا حدثاً أو يكتبوا تاريخاً أو يناضلوا من أجل فكرة ومعنى! ومن خسر قناعاته في القوى التي ملّكه الله تعالى فقد خسـر كل شـيء، ولم يعد يصلح إلّا للشكوى والعويل.

• **لقد نزل الوحي على نبيك** ﷺ أول ما نزل في غار حراء، وأخذ وغـط وقيل له: (**اقـرأ**)، واعتذر قائلاً: «**ما أنا بقـارئ**»! ثم كرَّر عليـه جبريل ثانية وثالثة وهو يردد «**ما أنا بقارئ**»! فقال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١_٢].

(اقرأ) **ففصـول التاريخ تحتـاج إلى ناهضين**، والمجتمعات التي غشـيتها الجاهليـة تحتاج إلى حُمّال رايات، وصُنّاع أحلام وأبطال مواقف، وفجر الأمّـة القادم يجـب أن يبـدأ من فصـول العلم والمعرفـة وأول خطواتـه (اقـرأ) وما عـدا ذلك ففوضى وضياع.

ـ **انطلق ﷺ يحمل مشروعاً وقضية،** وحمل مشعل الهداية، وأغار به على عُبّاد الصنم والوثن، وطارد به الجاهلية حتى أوردها النعيم!..

ماذا لو أنك رأيته وسلا الجزور على ظهره! والدماء تتدفق من عقبيه! وأسنانه في الأرض من أثر النضال!..

بل ماذا لو أنك رأيته وهو يودّع مكة ويرحل من ديارها، ويترك أحداثها من أجل هذا المعنى الكبير الذي يحمله ثم لا يعود إليها إلّا بأحداث النصر ومباهج التمكين!.

• **فإن قلت:** ذاك رسول الله ﷺ، وقد أيده الله تعالى بكل شيء!.

فسأقول لك: وما أنت قائل في **ابن الأثير** رحمه الله تعالى وقد كتب كتابه «جامع الأصول» في أربعة عشر مجلداً وهو مقعد، **وابن القيم** دوَّن «زاد المعاد» وهو في أحداث السفر، وهتفت همة **ابن الجوزي** به حتى طالع عشرين ألف مجلد وهو في أيام الطلب، **وابن عقيل** ألّف كتابه «الفنون» في ثمانمئة مجلد.. ولم

تزل رغبة العلم **بالإمام مالك** حتى باع سقف بيته.. وكتب لك **أديسون** كلمته الشهيرة عن العبقرية «١٪ إلهام... و٩٩ ٪ عرق جبين».

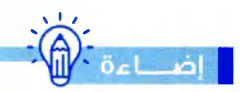
وقد هتف الأول في أذنيك قائلاً: كن حمّالاً في السوق، لكن قرّر مع أول خطوة لك فيه أن تصير تاجراً أو عقاريّاً أو مدير شركة، فستصل بإذن الله.. المهم تصميمك.. وقد هتف في مشاعرك قائلاً: وفي هذا المنعطف يجفل الراهب فيدعي عجزاً، ويقول: تريد مني أن أكون فقيهاً وليس جدي مالكاً ولا الشافعي، وتطلبون أن أتغنَّى بالشعر وما ولدني المتنبي ولا البحتري، وتتمنون أن ألوك الفلسفة وليس جاري سقراط، فمن أين يأتي لي الإبداع، وقد قال النبي ﷺ: «**النَّاسُ كإبلٍ مئةٍ لا تَكادُ تَجِدُ فيها رَاحِلَةً**»؟..

فنقول: نعم، نريد، ونتمنى، ونظن، ونجزم، ولا وجه لاستضعافك نفسك، وقد أعطاك الله ذكاءً ونسباً، فلم لا تتعلَّم السهر وتطلب الفصاحة؟!..

فإن كان هذا الحرف كافياً في إلهاب همتك، وإشعال فتيل الحياة في روحك، فذاك، وإلَّا ففكّر

بصدق في قدومك بين يــدي الله تعالى يوم القيامة.. فكّر في اللحظة التي ترى فيها أصدقاءك وأصحابك وقد كتبوا للمجد قصة، وصنعوا في التاريخ مجداً!.

• فيا ويح النائمين وهم يقرؤون فصلاً واحداً من فصول الخواتيم، التي قال فيها رسولك ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَــرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِــمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَــبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِــرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْــرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَــاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَــالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**».



لا تبحث عن شـمعة تضيء لـك الطريق وفي نفسك أسرار تلك الشموع !..

***



٤
حياتك من صنع أفكارك !

• ركب سيارته ذات يوم على أحد الطرق السريعة، ولم يكن يدر في خلده أنَّ تلك الشاحنة الكبيرة التي تسير أمامه ستقف فجأة!.. وقفتْ فارتطم بها، ونتيجةً لقوة الاصطدام اشتعلت السيارة عليه، ولم يفق من غيبوبته إلَّا وهو على سرير المستشفى وقد أخذت النار من جسده ما أخذت، وبقي زمناً يتلقى العلاج، ثم خرج في النهاية مشوَّهاً في أجزاء كبيرة من جسده!.

عاد للحياة وعادت عليه أقدار الحياة كذلك من جديد، ولكن هذه المرة في طائرة تحطَّمت بركابها وهو أحد أولئك الركاب، فشُلَّ جسده الأسفل، وأصبح مشلولاً لا يملك الحركة الكافية..

ولكنّه قرَّر ألَّا تهزمه تلك الحوادث، وألَّا تقف تلك التشوُّهات في جسده عائقاً عن الحياة، وقرر

أن يمضي في دروب المجد مهما كانت كلفة الطريق إليه.

خرج بجسده المشوّه من الحريق، يبحث عن عمل، ويحاول صناعة المجد حتى تحوّل إلى رجل أعمال، ثم مضى يكدُّ في الحياة، ويراكم من صخورها ميلاداً للفجر، ويبعث من خلال تلك الحركة ألف رسالة للعالم من حوله: أنَّه لا أحد من الخلق قادر أن يقف دون سيل همتك العارم، فإن أبى إلّا الوقوف؛ أخذته فيضانات تلك الهمة فألقته في العراء..

ثمّ تاقت همته إلى صورة أبعد من المال، فرشّح نفسه لرئاسة بلاده رغم شلله وتشوُّه صورته، وكان شعار حملته الانتخابية: «أرسلوني إلى عاصمة بلادي، ولن أكون مجرد وجه جميل هناك»، وهكذا تصنع الهمم!.

• ومثله اليوم الذكرى المدهشة محمد الحسن المعشي، وقد جرى عليه قدر الله تعالى ذات يوم وهو يتبع حلقة مسجده، ليصطدم بجمل على الطريق

العام، ويُشــل هو الآخر شــللاً رباعيّاً، ثــم يقرِّر أن تستمر الحياة كأول وهلة..

وهاهو اليوم معلم في المدرسة النظامية، ومعلم لكتاب الله تعالى في حلق التحفيظ بعد صلاة العصر، ويُقدِّم فصــولاً ممتعة مــن العلم من خلال درســه الشهري في السيرة النبوية؛ ليعلم قُرّاء هذه الأسطر أنَّ أحلام الجادِّين لا توقفها ظــروف الزمان، ولا تقف دونها العقبات!.

• وصدق ذلك الرجل الذي جعل من السرقة مهنة لــه، وكان يعيش على أموال النــاس وجهودهم، لمَّا قُبض عليه في لحظة من اللحظات سأله بعضهم: من هو يا تــرى ذلك الشــخص الذي ســرقت منه أكثر شــيء؟ فقال ذلك اللص جواباً يكتب بماء الذهب: **أكثر رجل ســرقت منه هو نفسي**.. كان بمقدوري أن أكون رجــل أعمــال ناجح، وعضــواً مســاهماً في مجتمعي، ومع ذلك اخترت أن أكون لصّاً، وقضيت ثلثــاً مــن حياتــي كشــخص راشــد ناضــج وراء القضبان. اهـ..

- **أفكارك التـــي تحملها هي التي تبلـغ بك ذُرا المجد، أو هي التي تُلقي بك في سجون الضياع!..**

هَبْ أنك مريض، أو معوق، أو ضعيف الذاكرة، أو حاولت مراراً ففشلت.. هَبْ أنك مجموعة من الأخطاء المتكـــررة؛ لـــمَ تقف عـــن الحركة؟! قم مـــن فراش مرضك وســـرير نومك وأخطاء ماضيك، وحدثنا عن الوجه الآخر للحياة! قل لنا كيف يصنع المريض قصة الشفاء؟ ومن الذي يهب الأرواح للموتى من جديد؟..

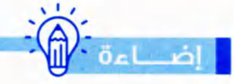
- **درِّب عقلك أن يرى في حالك الظلام نوراً، وأن يخلــق في حالات اليــأس ألف حكايــة للفأل، وأن يجري في فصــول الربيع كيف يشــاء ولــو كانت الصحراء تملأ عالم الأرض.**

أما بلغك حديث عنترة الجاهلي وهو يدق أبواب المجد، ويكتب لفصول التاريخ ألف حكاية:

واختَرْ لِنَفسِــكَ منْزلاً تعْلو به
أوْ مُتْ كريماً تَحْتَ ظلِّ القَسْطَلِ
فالموتُ لا يُنْجِيــكَ منْ آفاتِهِ
حِصْــنٌ ولو شــيَّدْتَهُ بالجَنْدَلِ

مَوْتُ الفتى في عِــزَّةٍ خيْرٌ له
من أنْ يَبيتَ أسيرَ طرفٍ أكْحَلِ
إنْ كُنْتُ في عددِ العبيدِ فَهِمَّتي
فوْقَ الثُّريَّا والسِّــماكِ الأَعْزَلِ
أو أنكَرَتْ فُرسَانُ عَبْسٍ نِسْبَتي
فسِنانُ رُمحي والحُسامُ يُقِرُّ لي
لا تَسْــقني ماءَ الحيــاةِ بِذِلَّةٍ
بلْ فَاسْقِنِي بالعزِّ كَأْسَ الحَنْظَلِ

وإذا كان الجاهلي يصنع فألاً في ظروف اليأس، ويخلق نوراً في حالك الظلام، ويجري فصولاً للربيع في أيام الصيف؛ فما شــأنك وقد خلقــك الله تعالى لغاية، وأجرى في نفسك كل شيء؟!..



كل فصول الحياة التي تجـري في واقعك هي في النهاية أثر لأفكارك !.

* * *



٥ تجارب الناجحين!

• لعلك تذكر أنِّي حدَّثتك فيما مضى عن ثقتك في الكنوز والطاقات والقدرات التي أودعها الله تعالى فيك، وقلت لك هناك: **إنَّ من الغبن أن يهبك الله تعالى كل شيء ثم تقف في عرض الطريق تتسوّل المارة ضوءاً كاشفاً للطريق.**

كل الناجحين يا صاحبي يشتركون في القناعة بقدراتهم وإمكاناتهم، ويملكون قدراً كافياً من الفرح بتلك القدرات والإمكانات، ويضعون أقدامهم على الأرض وأشواقهم للمجد تبلغ عنان السماء. وما لم تكن على الطريق ذاته فلا مفروح بشيء من أحلامك في قادم الأيام.

• من فضلك حدِّثني عن شجونك للمجد، وأحاديث الفجر التي تصفع بها الظلام، وقل لي مراراً: فصل واحد من الربيع يكفي لردم ألف ميل من

الصحراء.. **ثم إياك ألف مرة أن تسمع لصوت مثبط أو خائف أو متردِّد، فالتاريخ لا يحتفل بالجبناء.**

كثيرون من الذين حولك صعدوا رغم طول الجبل، ووصلوا للنهاية رغم مسافة الطريق، وكتبوا ألف مشهد للحياة رغم وجود ألف عقبة، وخير ما تصنع لنفسك: أن تيمِّم وجهك الطريق ذاته، وتجري في فلك تلك الهموم وتصنع للتاريخ ألف مشهد وحكاية.

ومن حدَّثك عن وعثاء الطريق، أو سرد لك فصول المخفقين، أو حاول أن يقنعك بالقعود؛ فقل له: لعلك تتحدَّث عن نفسك، أمَّا أنا فبالغ ما كنت أتمنَّاه.

وإني قائل لك: كن أمير نفسك، وخبير ذاتك، ولا تسمع لصوت مثبّط مهما كانت الأدلة التي يستدل بها على صدق مقالته.. **وقناعاتك بما أعطاك الله تعالى تكفيك مدى العمر عن ألف صورة ومشهد وحكاية.**

- **يا صاحبي، من تجارب أولئك الناجحين: أنَّهم يقرؤون ولساعات طويلة، وأعز أصدقائهم الكتاب،** ويجدون في قول المتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرْجُ سَابحٍ
وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كِتَابُ!

كل شـــيء.. وعادة القراءة في يـــومِ الواحدِ منهم أثمن من وجبة غداء على جـــوع وفاقة! واليوم الذي لا تجري فيـــه أحداث تلك الفاتنة فـــي واقعهم ليس معدوداً من أيامهم.

ولو أنَّك بدأت بعشـــر دقائق أو خمس عشـــرة دقيقة لتكوين هـــذه الفاتنة في واقعـــك لجرى ماء النعيم في قلبك ومشـــاعرك إلى أقصـــى مدى، فما بالك بالساعات الطوال!..

- **وقل مثل ذلك في قراءة قصص الناجحين، وكتب الذكريـــات، والســـير الذاتيـــة**، فهذه بعـــض أحداث الناجحين أو كلها؛ إذا وهبتَ لها من وقتك، وقســـمتَ لها من يومك وليلتكَ؛ ألهبَتْ مشاعرك، وجرت بالنعيم في قلبك، وطافت بالذكريات المدهشة في واقعك.

وكم من حرف في سيرة بطل طرد النوم من جفن صاحبه أياماً! وكم من سطر قام له الإنسان من نومه مكبِّراً ومهلِّلاً!.

- حدَّثني أحد الزملاء ذات مرة عن قصة شهدها بنفسه في دورة تدريبية في عالمنا العربي؛ يقول فيها:

كان من شروط المدِّرب في تلك الدورة أن تقفل الجوالات، ولا يسمح باتصال المتدرب مهما كان ظرفه، وكانت الدورة مختلطة من الرجال والنساء، وبينما المدرب يقدم دورته إذ بإحدى المتدربات تردُّ على مكالمة، فوقف المدرب وأنصت وخيّم السكون على القاعة حتى انتهت من مكالمتها، ثم قال لها بصوت مرتفع: «إلى الخارج» ثم نادى الفريق القائم على البرنامج وقال لهم: أعطوها مبلغ الدورة الذي دفعته ودعوها تغادر موقع الدورة فلا حاجة لنا بها..

يقول الزميل: وانتظرنا هذا الموقف العصيب في حياة هذه المتدربة، فكانت المفاجأة! وقفت فقالت: أنت أحق بالخروج منِّي.. أنت هنا موجود لنا.. وأخَذَتْ تقول: الدرس الذي تعلمتُه هذا المساء أن أمثالك ينبغي أن يمسحوا من قائمة التدريب؛ لأنك لا تستطيع أن تتعامل مع الناس؛ فكيف توجِّههم؟!.. لن أخرج هذا المساء من القاعة التي دخلتها برغبتي،

وأعدك جادة بـإذن الله تعالى أنَّني لن أترك وسـيلة إعلام، ولا مركز تدريب حتى أبيِّن شخصيتك الزائفة، وبيننا الأيام.. ثم قعدت!.

ففزع المـدرب وارتبـك وعَـرِقَ، وجلس وظل صامتاً فتـرة من الزمن، ثم أفاق وأمر باسـتراحة من الحلقة التدريبية، يقول الزميل: وفي أثناء الاستراحة لقيَتْ هذه المـرأة من الفريـق العامـل أروع عناية لمتدربة في برنامج!..

قَرَّرَتْ ألَّا يهزمها الآخـرون مهما كان حجمهم، فوقفت في وجه العاصفة، وصنعت لنفسـها موقعاً، وكتبت أنَّه لا يمكن لبشـر أن يغيِّر قناعاتك الداخلية عن نفسك ولو كان يملك في تلك اللحظة كل شيء.

• **ومن تجـارب أولئـك الناجحين: أنهـم كانوا يسمعون لقصص الناجحين**، وهي كثيرة ومبثوثة في الشبكة العنكبوتية، ولو أجريتَ بحثاً عارضاً عن سيرة ذاتية أو قصة ناجـح أو نحو ذلـك؛ لانتظم أمامك عشرات السير التي سـتنقلك من مكانك إلى مجدك وأحلامك في قادم الأيام، فضلاً عن **الكتاب الصوتي**

الذي بات لـه وجود واسـع في وسـائل التواصل الاجتماعي كمثـال، ولدينا اليوم أوقـات تُقضى في السيارة فضلاً عن أوقات الانتظار، وغيرها كثير يمكن أن تُستثمر لهذا المعنى الكبير.

وما أنا محدِّثك عن أثر الكتب الصوتية التي اعتنيت بها في زمن من حياتـي، فكوّنت لي قفـزة نوعية في جملة من الأفكار التي أسهمت في دفع أحلامي زمناً من العمر، وقد كنت أقطع من بيتي إلى مقر العمل قريباً من النصف ساعة؛ كانت كلها أو جلها تذهب في سماع تلك الصوتيات التي تبعث في قلبي ومشاعري مشاهد الحياة.

- **ومـن التجارب التـي تدفع للنجـاح: مصاحبة الناجحين والمتميزين، فإنَّ صحبتهم شـعلة لا تكاد تخبو مع الأيام..**

الناجحون نماذج حية يشـعلون في نفسـك نار الجدية بمجرد حديثهم، ويلهبون فيك مشاعر التميّز من خلال نشـاطهم وحركتهـم وأفعالهـم، وحاجة المتطلع إلى المجد إلى الواحد منهم كحاجته للطعام والشراب لا فرق.

- **ومن تلك التجارب التي تدفع بك إلى أحلامك: حضور الدورات التدريبيــــة**، فكم من كلمة، أو عبارة في لوحة عرض دفعـــت بقارئها للحياة، وصنعت منه مجداً مدهشاً مع الأيام.
- **ومن تلك التجارب: زيارة الناجحين والمتألقين، وأصحاب الأفــكار الجـــادة والمشـــاريع الضخمة، والاســـتماع إلى تجاربهـــم**، وقراءة فصـــول مجدهم وتحدياتهم التي رسموها في مساحة من الزمن..

وإنِّي على يقين أنَّ زيارة ناجح واحد أكثر أثراً في دفع آمالك وتقريب مساحات النجاح في واقعك من ألف كتاب تقرؤه في المعنى ذاته.



افتـح عينك علـى كل صفة في ناجـح، أو عادة فـي حياتـه، أو فكـرة مدهشـة فـي واقعـه، أو مشـروع حياة.. وركِّز عليها فــي زمن من عمرك، وسترى الفرق.

***



معتقداتك سر نجاحك!

• **لا أعلم سلاحاً أوثق لقلبك من سلاح المعتقد!** وكل الانتصارات التي تحقَّقت لأصحابها كان المعتقد قاعدتها التي تنطلق منها، وأصلها الكبير الذي تأخذ منه كل شيء.

- **لكل نجاح قاعدة، وأعظم قاعدة صنعت الحياة لأبطالها هي قاعدة المعتقدات!** وإذا أردت أن تكون ناجحاً ومدهشاً في زمانك؛ فليكن معتقدك حيال قدراتك وإمكاناتك وطاقاتك فوق العادة، وبدون هذا المعنى ستتهاوى كلُّ آمالك وستتوقَّف في ثنايا الطريق، وستقعد مخفقاً عن بلوغ الغايات مهما كانت بدايتك.

- **كل الناجحين في الحياة بدؤوا مشوارهم الكبير وهم مؤمنون بأنَّ يوم الفرح أقرب ما يكون،** وما زالوا يركضون إلى تلك الآمال وإيمانهم يزيد بتلك الآمال،

حتى وصلوا في النهاية إلى ما يريدون. **ووصيتي لك:** أن يجري هذا المعنى في قلبك ومشاعرك، ويأخذ مداه من روحك قبل أن تبدأ فيه خطوة واحدة.

- **إذا أردت أن تبدأ الحياة في واقعك فَصُمَّ أذنيك عن كلمة «فشل» ولو سقطتَ في الطريق ألف مرة،** وكما قال الأول: إذا لم تعتقد أنَّك تصنع عالمك بنجاحاته وإخفاقاته فأنت واقع تحت رحمة الظروف (أي: ظروف زمانك هي التي تصرفك كيفما تشاء).

فتروَّحَ قارئٌ لهذا المعنى فقال: دعني أخبرك أنه لو توفّر لدي ذلك الاعتقاد ـ يعني: عدم قدرته على صناعة الواقع ـ فسوف أرحل باحثاً عن ثقافة أخرى، عن عالمٍ آخر، عن كوكبٍ آخر، إذاً لماذا تبقى هنا إن كنتَ مجرَّدَ نتيجة لقوى عشوائية!..

وصَدَقَ.. لماذا تبقى هنا؟ فالوجود الذي لا يصنع فارقاً، ولا يكتب ملحمة، ولا يسجل نضالاً مدهشاً في واقع الحياة، لا قيمة له في شيء.

ولعلك رأيت بعينك من يموتون جبناً على أسِرَّتِهم وهم في أجواء العافية، ورأيت في المقابل

من يحيــون وهم في ســاحات الجهاد أمــام بوارق السيوف!..

• **درِّب نفسَــك ألَّا تخطو خطوة في الطريق إلى مستقبلها الكبير إلَّا وهي مؤمنة غاية الإيمان: أنَّه ليس بينها وبين آمالها سوى مسافة الطريق..**

- وكن في الطريق إلى أحلامــك كذاك المناضل من أجل هدفه وفكرتــه وقضيته (**إبراهــام لنكولن**) الرئيس الأمريكــي في حقبة من الزمــن، كان حلمه الكبير أن يصعد سُــلَّم رئاســة أمريــكا، ويقف على عرش مُلكها، ويتوّج رئيســاً لها.. فبدأ طريق التجارة كأول الخطوات إلى ذلك الحلم، فكانت أول محاولة له في مجال الأعمال وهو في الحادية والعشرين من عمره فأخفق، ثم حاول ثانية وهو في الثانية والعشرين من عمره فانهــزم في انتخابات تشــريعية، ثم حاول فأخفق في مجال الأعمال وهو في الرابعة والعشرين، ثم حاول رابعة وأخفق وهو في الســابعة والعشرين، ثم حاول خامســة وهو في الرابعة والثلاثين فخســر انتخابات الكونجــرس، ثم حاول سادســة وهو في

السادسة والثلاثين من عمره فخسر انتخابات الكونجرس، ثم حاول سابعة وهو في الخامسة والأربعين فخسر في انتخابات مجلس الشيوخ، ثم حاول ثامنة وهو في التاسعة والأربعين فخسر في انتخابات مجلس الشيوخ، وفي النهاية عانق حلمه الذي ظل يطارده اثنتين وثلاثين سنة، وتم انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وهو في الثانية والخمسين ليعلّمك: **أنَّ النضال من أجل الأفكار من صفات الكبار.**

- وقد قال لك (**أديسون**) وهو يؤكّد عليك: **إنَّ النجاح الكبير لا يأتي إلَّا من بطون الإخفاقات والعثرات**.. وقد ظل يحاول في اكتشاف الكهرباء قريباً من ألف مرة، وفي النهاية يكتشف ما نجد به اليوم بعض معالم الحياة، ويقص لنا في النهاية جزءاً من تفاصيل قصّته: **العبقرية (١٪) إلهام، و(٩٩٪) عرق جبين.**

- وقد قال لي ولك (**مانديلا**) وهو في غياهب السجون وهو يتحدَّث عن قضية الاعتقادات: **أما**

جسم الإنسان فيتكيَّف مع أي ظروف قاسية، كما أنَّ المعتقدات هي سر البقاء في ظروف الحرمان. وكان ينفث هذا المعتقد على الذين يعيشـــون معه في تلك الســـجون قائلاً: إذا خرجتُ من السجن في الظروف نفســـها التي اعتقلت فيها؛ فإنَّني سأقوم بالممارسات نفسها التي سُجِنْتُ من أجلها.

- ولهذا المعنى وأمثاله كتب الشـــاعر أبو القاسم الشابي قائلاً:

إذا المـــرءُ يومـــاً أرادَ الحياةَ
فلا بـــدَّ لِلحـــقِّ أَنْ يَنْتَصِـــرْ
ولا بـــدَّ للَّيـــلِ أنْ يَنْجَلِـــي
ولا بـــدَّ للقَيْـــدِ أنْ يَنْكَسِـــرْ
إذا مَا طَمِحْـــتُ إلـــى غايـــةٍ
رَكِبْتُ المُنَى ونَسِـــيْتُ الحَذَرْ
ومَـــنْ يَتَهَيَّبْ صُعـــودَ الجبالِ
يَعِـــشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بيـــنَ الحُفَرْ

وقد قال: (إذا **الشعب** يوماً أراد الحياة)، فمحوت **الشـــعب** ودوَّنت (إذا **المرء** يومـــاً أراد الحياة)؛ لأنَّ

الأيام تزيدني قناعة أنَّ الشعوب والأمم والمجتمعات بأفرادها! وما كل شعب قادر على الحياة!.



المعتقـد جبـل عظيـم فـي رأس رجـل كبيـر الهمة !..

***



٧
موقفك الذهني

• ماذا تعرف عن نفسك؟ من أنت؟ كيف تنظر لقدراتك وطاقاتك ومهاراتك وإمكاناتك؟ حدثني عن التفاصيل الدقيقة لهذا المعاني؛ لأنني من خلالها سأعرف من أنت؟ وما قصتك في الحياة؟ وأين موقعك منها في النهاية؟..

واحدة من الحقائق الكبرى تتلخَّصُ في أنَّ موقفك الذهني عن نفسك يصنع في النهاية واقعك، ويكتب فصول حياتك، ويرسم ملامح فخرك القادم باقتدار..

وثمة دراسة تثبت: **أنَّ (٨٥٪) من أسباب النجاح والتميُّز في حياتنا تعود إلى مواقف ذهنية، وأنَّ (١٥٪) من تلك النجاحات تعود إلى خبراتنا الفنية.**

- في حفل تخرُّج للضباط في إحدى المناسبات، وبينما الأمير يسلِّم شهادة التخرُّج جاء دور ذلك

الضابط الذي توجَّه للأمير لأخذ شهادته، وبينما هو يُحيِّي الأمير بالتحية العسكرية، سقط حتى خرَّ تحت أدراج المكتب الذي يقف خلفه الأمير، وكان الموقف محرجاً للغاية؛ إذ هو حفـــل تخرُّجٍ وتعرضه القنوات الفضائية، فما كان منه إلَّا أن خرج من أسفل المكتب ثم انطلق ليأخذ دورة كاملة على المشهد من جديد، ثم أقبل مرة أخرى على الأميـــر وحيَّاه بذات التحية واسترد أنفاسه بقوّة، فما كان من الأمير إلَّا أن صفَّق إعجاباً بموقفه وثقتـــه وإصراره وتحدياتـــه، ثم نزع ساعته وألبسه إياها، وصفَّق الجمهور بحرارة، وصنع من موقف إخفاق مواقف عزٍّ وبطولة وشموخ، ولولا أنَّ موقفه الذهني كبير عن نفسه لما استطاع أن يستردَّ أنفاسه فضلاً عن أن يصنع موقفاً مقابلاً مليئاً بالدهشة والإعجاب!.

- كم هـــم الذين لا يركبون طائرة في أســـفارهم، ويتحمَّلون مشاق الطرق الطويلة وحوادث السيارات المفجعة على كل أنواع الراحة التي يجدونها؛ لموقف عرض لكلٍّ منهم ذات مرة في إحدى الرحلات جعله يتخذ موقفاً معادياً ما بقي من العمر!..

- ويشبه ذلك تماماً الخطيب الذي يتوقَّق في أول خطبة من خطب الجمعة يعيش واثقاً من منبر الجمعة ما بقي من العمر..

- والآخر الذي تعرَّض لموقف فشــل أو إخفاق يظل عمره كله متردِّداً، وربما تكرَّر منه الإخفاق وهو على كبر.

• ماذا لو أنَّ شخصاً ما قَدِمَ إلى منزلك ثم نثر فيه أكياســاً من القمامة؟ ماذا ستفعل تجاهه؟ إنَّني أجزم أنَّك ستحيل ذلك الموقف إلى معركة ربما تسيل فيها الدمــاء، ولو أنَّــك أدرت رقبتك للموقــف المقابل لضحكت عجباً من تصرفك، ذلــك الذي يرمي في عقلك كل يوم أكياســاً من نفايات الأوهام والكذب والدجل والتصــورات الخاطئــة.. وكل ذلك وأنت لا تُعبّر عن امتعاضك بكلمة فضلاً أن تصنع من ذلك التصرف مواقف للصراع!..

إنَّ الذي يصور لك ضعف قدراتك، أو يشــكِّك في قراراتك، أو يقلِّل من فاعليتك، أو يزعزع ثقتك، أو يهوّن من آثارك ويزهِّدك في المعالي؛ متمكن في

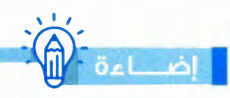
فن ردم النفايات في عقلك، وهو أسوأ بكثير من ذلك الذي يردم النفايات كل يوم في قعر بيتك.

- قل مثل ذلك في رجلين مريضين بالسكري عافانا الله وإياكم: الأول منهم يمارس حياته بشكل طبيعي جدّاً، وتلقاه في عرض الطريق وهو يُزهر من العافية، وعليه آثار النشاط ويرسم معالم مدهشة للحياة في واقعه..

وآخر تلقاه فتلقى الموت في الوقت ذاته، تلقاه شاكياً باكياً سوء قدره، منتظراً لعمى عينيه وبتر قدمه وعدم برء جرحه، فضلاً عن جسده الذي أوشك على الموت أو كاد!..

وكلا هذين الأمرين عائد إلى الموقف الذهني لكلٍّ منهما، حتى تعلم ما تصنع تلك المواقف في حياتنا من أحداث.

• وأنا أقول لك وأكرر عليك ألف مرة: **أنت صانع قرارك، وكاتب قصة حياتك، وراسم مستقبلك، فكن في مستوى الحدث، وإياك أن تكون أنت العقبة الكبرى في بناء مستقبلك والواقف أمام أمانيك الكبار!..**



إذا لم تقدّر نفسك، فلن تجد من يصفّق لك في عرض الطريق !..

***



أيتام غيَّروا مجرى التاريخ!

- **قصة النجاح الكبرى، والذكريات الخالدة في المجد، وفصول الربيع الممتعة في الحياة؛ صناعة ذاتية ليست بحاجة إلى أسرة مدهشة، أو مؤسسة عمل رائعة، أو بيئة حاضنة للإبداع، ولا حتى رفقة من نوع خاص..**

وكم رأينا مَنْ عاشوا في أسر مدهشة، ومؤسسات عمل مبدعة، وبيئات رائعة، ورفقة متألقة، ومع ذلك لم يصنعوا تاريخاً، ولم يكتبوا مشهداً مبدعاً في الحياة، وكل تلك المعاني لم تكن قادرة مجتمعة على نقل الإنسان وإقناعه بالمستقبل الكبير.

ولو قلت لك: تأمَّل فيمن حولك ممَّن رزقوا هذه المعاني أو بعضها؛ أين هم من فصول العز والمجد؟ وما موقعهم من هذا المعنى الكبير الذي ندندن حوله في هذه المساحة؟ وسترى الحقيقة رأي عين.

• سيرة نبيك ﷺ أصل في الحديث عن الأشواق والتحديات وربيع الأحلام..

ولد يتيماً، ونشأ وعاش يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، واللحظة التي استقبل فيها الرسالة قام بها في مجتمع الوثنية وحيداً، ولكنَّه كان مؤمناً بقضيته وفكرته، شغوفاً بمشروعه الكبير، فدفع له من وقته وفكره ومشاعره وقلبه ما يكفي للحياة في مستقبل الأيام..

وكم من أيام احتاج فيها النجاح إلى أن يبذل من دمه وغربته وفراق دياره ووداع أهله، وتحمَّل كلَّ شيء في سبيل تلك الأماني الكبار، وما زال كذلك حتى دخل مكة فاتحاً وأمم الأرض في ذلك الزمان مؤمنة مهتدية للطريق الذي دعاها إليه أول مرة.

وهذا **ابن الجوزي** رحمه الله تعالى، نشأ يتيماً، وتحمَّل صروف الدهر، وعاش يكرّس فكرة النجاح التي يصنعها الأفراد دون معين، وهتف بي وبك قائلاً وهو في باكر شبابه: «ينبغي للعاقل أن ينتهي لغاية ما يمكنه، فلو كان يتصوّر للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص بقاءه بالأرض».

• وكان يقـول: «كنت في زمـان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلَّا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها شربة، وعين همتي لا ترى إلَّا لذة التحصيل».

وإذا أردت فصول حياة هذا اليتيم فانظر ماذا ترك للتاريخ! وماذا أبقى فيه!.

• **والإمام أحمد** إمام أهل السنة رحمه الله تعالى، عاش كذلك يتيماً، وما زال في أحضان أمٍّ يتلقى منها كل شـيء حتى صنع للتاريخ ألف حكاية، حتى جاء الشـافعي ليقـول: خرجت مـن بغداد ومـا خلفت فيهـا أفقه ولا أورع ولا أزهـد ولا أعلـم ولا أحفـظ من ابن حنبل.. اهـ.

ولا زال «المسـند» الذي يزيـد ما فيه على نيف وأربعين ألف حديث بعضاً من آثاره في الدنيا.

• **والبخـاري**، الإمام المحدث الشـهير، صاحب أصحِّ كتابٍ في الدنيا كلها بعد كتاب الله تعالى، على الطريق ذاتها نشأ يتيماً، ولم يمنعه فقد والده من بناء

نفسه وتحقيق أحلامه، وكتب في النهاية فصلاً ممتعاً في المجد سيظل يُذكر ويَرقى به ما بقيت الدنيا!.

حتى كتب ابن خزيمة قائلاً: «لم أر تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ من البخاري».

وقد قال الأول: «ساعة مجد تعادل عمراً لا مجد فيه».

• وما أخبار **الشافعي** اليتيم عنك ببعيد، ولو لم يكن في تلك السيرة إلَّا الجواب الذي أجاب به الإمام أحمد عنه لكان بلسماً، قال عبد الله ابن الإمام أحمد لأبيه: يا أبت، أي رجل كان الشافعي، فإنِّي سمعتك كثيراً تدعو له؟ قال: «يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، والعافية للناس».

• وما العلَّامة محدِّث زمانه وفقيه عصره وعالم أمته، والأمة في رجل: **الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي نشأ يتيماً، وعمي وهو في باكر عمره، وما ودع الدنيا حتى ملأها ربيعاً مورقاً.

- وقل مثل ذلك في فقيــه زمانه، ومجدد عصره، وصانع رايات العلــم: **الســعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وتلميذه **ابن عثيمين**؛ هــم كذلك على الطريق ذاتهــا آمنوا أنَّ الله تعالــى أعطاهم كل شــيء، ورفضوا أن يستســلموا لعوارض الزمان، وأبوا أن يخرجــوا من الدنيا حتى يصنعوا فيها كلّ شيء.

وصدق **المتنبي** الذي لم يصــده الفقر عن طريق المعالي حين قال:

وتعظمُ في عينِ الصَّغير صِغارُها

وتصغرُ في عينِ العظيمِ العَظائمُ



أعظم مقوّم لصناعــة مجدك وكتابــة تاريخك ورحلة عمـرك الكبيـر؛ يقينك بأنـك تملك كل شيء، وإيمانك أنه ليس ثمة عائق دون آمالك الكبار، وسيحين موعد الحياة ولو بعد حين.

***



٩
عظماء بلا مدارس!

• ما زلت مقتنعـــاً بـــأنَّ التعليم هو كل شـــيء، والمدرسة رغم أعبائها إلَّا أنَّها تكتب فصولها الممتعة في النهاية في حياة كل من دخلها، ولو لم يكن فيها إلَّا أنها تُمَلِّكـــه أدوات العلم فضلاً عن أدوات الحياة لكان له كل شيء!..

غير أنَّه يجب أن تؤمن إيماناً لا يقبل الشـــك أنَّ النجاح متاح لك حتى خارج أســـوارها، ومن عرف كيف يقرأ ويكتب فقد فُتح له المجد على مصراعيه، وهو حرٌّ بعد ذلك في المساحة التي يختارها لصناعة مجده وكتابة تاريخه وتدوين فصول التاريخ.

والنفـــوس الكبيرة ترفـــض أن تأســـرها عادة، أو يسيطر عليها نظام، أو يحبسها وهم في فكرة واحدة، وقد خلـــق الله تعالى خلقه مختلفين في كل شـــيء، وزمانك شاهد كما هو زمان غيرك.

فإن قلتَ: حدثني عن فصول هذا المعنى، ودُلَّني على تفاصيله الكبرى، وأين موقعي من الحياة؟..

فسأقول لك: لن أحدِّثك إلَّا من تجارب الكبار، وسأملي عليك فصولاً في السير الذاتية ودعت المدرسة، وقرَّرت ألَّا تبقى هامشاً، وهاهي تملأ الدنيا من كل شيء.

- **أول معالم تلك السير: أحمد ديدات** رحمه الله تعالى؛ اسم في سماء الدعوة والجهاد، والعلم والمناظرة.

غادر المدرسة من الصف السادس، وتوجه للعمل الحر، وعمل بائعاً للمواد الغذائية، ثم سائقاً في مصنع أثاث، ثم كاتباً، ثم مديراً لمصنع الأثاث، ثم التحق بدورات تدريبية في صيانة الراديو، وأسس الهندسة الكهربائية، ثم رحل إلى باكستان ليعمل على تنظيم معملٍ للنسيج..

ثم رحل إلى جنوب إفريقية.. ثم توقف عن العمل وبدأ جهاد الدعوة والإصلاح، وظل ممسكاً بمشروعه حتى ودَّع الدنيا، وها أنت تراه بدأ خطواته من المدرسة، وأخذ حظّاً كافياً من العلم، ثم استكمل فصول مجده خارج أسوارها.

• **وثاني معالم تلك السـير: سيرة الألباني: محمد** ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى؛ كفاه من المدرسة النظامية صفها السادس الابتدائي كذلك، ثم لم يدخل بوابتها مرة أخرى..

وكان فقيـراً معدمـاً، صنْعتـه ومهنتـه إصلاح الساعات، إذ لم يكن له مورد رزق غيرها..

بـدأ تعلُّم الحديـث في العشـرين مـن عمره، وأشعلت مجلة المنار فكرة المشـروع لديه، فكانت بداية عادية سرعان ما خاضت لجج التحديات لتنتهي إلى نهاية غير عادية..

ولم يرحل بائع السـاعات حتى دفع في المكتبة الإسـلامية ما يزيد على مئـة مؤلَّـف، الواحد منها لا يصنعه إلَّا فئـام الرجال، ويكفيـك من كل ذلك حديث أمم ما بقيت الدنيا: صحَّحه الألباني، حسَّـنه الألباني، ضعَّفه الألباني.. يقيـم للناس عرى دينهم، ويكتب لهم شؤون الحياة من لا شيء.

• **وثالـث تلـك المعالـم الجميلة التـي ودَّعت المدرسـة: أبو الأعلى المودودي** رحمه الله تعالى، العالم الكبير

في ســماء الدعوة والإصلاح، كانت المرحلة الثانوية هي نهاية بوابة المدرسة النظامية في حياته..

عاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في أسرة فقيرة، وبدأ رحلته في الحياة كاتباً صحفيّاً على مقالات قصيرة في سن مبكرة، ثم رحلت به همته داعياً ومجاهداً؛ حتى ترك هذا التراث الكبير يجري في تأهيل كثيرين مدى العمر.

- **ورابع تلــك الفصول الممتعة: ســيرة مصطفى صادق الرافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، الذي لم يتجاوز تعليمه النظامي المرحلة الثانوية فحسب! ثم أصيب بصمم في أذنيه فلم يعد يسمع شيئاً بعد ذلك التاريخ..

ولكنَّه قرَّر ألَّا توقفه عقبــات الطريق مهما كانت كلفتها، فعمل كاتباً ومحصّلاً ماليّاً في محكمة طنطا، وبقي يســرد لنا فصول الأمل والجمال والتراث من خلال قلمه..

وهاهي الأجيال اليوم إذا أرادت أن تســقي عقولها فكراً وحرفاً متيناً وكلمة مورقة وأسلوباً أدبيّاً؛ فعليها أن تتتلمذ في مدرسة الأصم الذي لم يتم تعليمه النظامي، ولم يجد وظيفة إلَّا التحصيل المالي في محكمةٍ ما!..

- **وخامس تلـــك الفصول الممتعة: ســـليمان بن عبد العزيز الراجحـــي** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ**؛ أتم الصـــف الثاني من تعليمه في المدرسة.**

بدأ ببيع القاز بقرش ونصـــف القرش، كما عمل طباخاً وخادماً، ثم رحل بعزيمته طارقاً باب التجارة، ولم يتركها حتى كتب اســـمه في عداد التجار الكبار في بلاد الحرمين..

وما غُبـــط صاحب مال ما غُبط هـــذا العَلَم الذي لا أعلم جهة خيرية في بلاد الحرمين إلَّا وقد ضرب فيها بأوسع ما يتصور طالب أجر.

- **وأخيراً: متـــى كان الإخفاق في الدراســـة دليل فشـــل صاحبه، أو ضياع فرصه، أو فوات حظوظه من الحياة؟!..**

الكبار والمدهشـــون إذا أقفل طريـــق مجد فتحوا ألـــف طريق، وإذا أوصـــد باب فرصـــة أوجدوا ألف فرصـــة، وإذا توقف كل شـــيء أمام أعين الكســـالى فتحوا منافذ من جديد..

فتخلَّ عن أوهامك، وقم لبــاب مجدك، واكتب حظوظك كما تشاء، وإياك أن تأتي متخلِّفاً عن ركاب الجادِّين يوماً ما.



اللحظة التـي يغلق عليـك باب يفتـح لك في المقابل ألــف باب، وحيـن تفوت عليـك فرصة أمل فثمـة ألف فرصة فـي الطريق، كـن موقناً بالحياة وسيأتي الربيع.

***



التفكير الإيجابي

- كثيرون جداً يتوقَّعون الأسوأ، ومؤمنون بالإخفاق، ويرون بأنَّ الحياة أشبه ما تكون بثقب إبرة، وكل أحداث النجاح التي يرونها تملأ الدنيا لا تمثِّل لهم قطرةً في بحر اليأس الذي أخذ من قلوبهم كلَّ شيء.. وإذا حدَّثته عن الفأل والأمل، عاد يسرد عليك فصولاً كثيرة من حالات المخفقين واليائسين في طريق العز والمجد.

وإن كان ثمة شيء يحتاج للبعث من جديد فهي قناعاتنا بما نملك، وتفكيرنا الذي يقودنا للإصرار على أهدافنا وأحلامنا حتى نبلغها في النهايات.

- كم مرة بدأنا مشروعاً ونحن مشككون في نجاحه! وخضنا تجربةً ولدينا شبه يقين أنَّها مجرد محاولة من محاولات الفشل، وبدأنا بفكرة وكان يسيطر على رؤوسنا أنَّ لديها ألف عقبة في الطريق..

وهكذا تسيطر السلبية على تفكيرنا، وتأخذ حظّاً كبيراً من مشـــاعرنا، وتَئِدُ كلَّ محاولة قادمـــة مهما كانت أســباب النجاح التي تحيط بها في تلك الحقبة من الزمن!..

إذا أردنا النجاح فعلينا أن نؤمن قبل أن نبدأ في أي فكرة أو مشروع أو قضية أو حتى بناء مهارة: أنَّ فرص النجاح فيها كبيرة ومدهشة وعظيمة، ولا تحتاج منا إلَّا إلى يقين لتصل إلى النهاية المرسومة لها مع الأيام.

- في مـــرات تجد إمامـــاً يصلِّي في مســـجده ولسنوات، والخطأ مســـتمر معه رغم كل ما يبذل من مراجعة.. وسبب ذلك: أنَّ لديه شبه اعتقاد أنَّه ســـيخطئ في صلاته، وما إن يبدأ حتى يتعثّر من أول الطريق..

ومثل ذلك من يتعثّـــر في مادة دراســـية، وكلما حاول أن يقلب تلك التوقعات سيطرت عليه الأوهام من جديد وبقي متعثِّراً ما بقي من العمر..

وقل مثل ذلك في الذي تعثّر في كلمة جماهيرية لأول وهلة؛ ظلَّ حبيســـاً لذلك الخطـــأ طيلة حياته،

وكلما نوقش في تكـرار التجربة تحـدّر العرق من جبينه، وارتبك في كلامه، واعتذر من بداية الطريق..

وكل هذا أثر من آثار التفكير الذي يلازم الإنسان في مواقفه التي تعرض لها أول وهلة.

- **ماذا لو أنَّ الإنســان بدأ كل موقف أو عمل أو مهارة ولديه يقين أنَّ النجــاح يحتاج إلى زمن، وأنَّ الخطأ أصل في المحاولات الأولى، وأنَّه لا يمكن أن ترقى المجــد وتبلغ منــاك منه حتى تتعثّــر مرات، وتذوق مرارة الإخفاق، ثم يعــود موعد النجاح بعد ذلك حلو المذاق!.**

درِّب عقلك على أنَّ المحاولات الأولى والثانية والعاشــرة لا تخلــو من إخفاقــات، وهيِّئ نفســك ومشــاعرك على أنَّ أجمل ما في المحاولات الأولى السقوط المتكرر فيها، وطعم الخسارة وألم التكرار، وأنَّــه كلمــا زادت محاولاتك المخفقــة كلما زادت تجاربك في المقابل، وأصبحــت صلباً وعصيّاً على الكسر في المرات القادمة، وأنَّ أيَّ نجاح يأتي بارداً ما يلبث أن يزول مع الأيام.

أدعوك دعوةً صادقةً وجريئةً وحرَّةً أن تكون شجاعاً جريئاً حراً، وأن تقتحم المواقف الأولى ولديك يقين بالنجاح، وألَّا تلتفت لمخلوق تراه في تلك المساحة التي تحاول فيها؛ فهم إمَّا جبناء عن الجرأة، والخطوات الأولى، ومحاولات الناجحين، وغمار المجد، أو أنَّهم ذاقوا تلك التجارب وهم مؤمنون بأنَّ ما تلقاه جزء من مستقبلك الكبير مع الأيام.

- إذا أُوْكِلَتْ إليك كلمة في حفل فخذها ولديك يقين بأنَّك ستصنع فيها شيئاً مدهشاً.. وإذا جئت إلى مسجد فضع في فكرك أنَّك لو قُدِّمت إماماً فستكون في مستوى الحدث، وإذا طلب منك خطبة فتقدَّم لها وكن بطل ذلك الموقف، وإذا دعيت لاجتماع لتكون أنت موقد شرارة الحياة الأولى فيه فكن كذلك، وإذا أوكلت لقيادة ورشة عمل فقل: جاءت الفرصة المناسبة، وإياك ألف مرة أن تتردَّد خوفاً وجبناً من المحاولات! وقد قال الأول: الحياة محاولة جريئة أو لا شيء.

على أنَّ كل ذلك مشروط بأن يكون هذا مجالك ومناسب لك وأنت من أهله؛ فإنَّ ركوب الإنسان لكل

شيء من الفوضى التي لا تكسب صاحبها إلَّا الفشل والحرمان في قادم الأيام.

- **ودعني أقول لك في النهاية: لا تبدأ في مشـــروع أو موقف أو فكـــرة أو مهارة إلَّا ولديـــك قناعة كافية بنجاحك فيها**، وليكن لديك يقين: أنَّه ليس هناك شيء غير قابل للإتقان! كم من إنسان مسجون في وهم لم يخرج من سجنه من ســـنوات! وكم من فكرة خاطئة حبســـت متألِّقاً عن العلو! وكم من إنسان مكبَّل بقيود الدنيا وما زال يرســـف في قيده، وكلما حاول الفكاك كرَّت عليه الأوهام من جديد فترك ذلك القيد!...



قصة مجدك وتاريخك الكبيـر تبـدأ بجرأتك على الخطوات الأولى، ومغامرتك التي تخوضها يجب ألَّا تنتظر للعواقب فيها مهما كانت آثارها، وأعدك بإذن الله تعالى أن تكون حدثاً ملهماً للآخرين.

***



١١ من أسرار الناجحين!

• **واحدة من أهم الخطوات التي تعينك على بلوغ آمالك وتحقيق أحلامك: أن تسبر حياة الناجحين، وتعرف تلك الأسرار التي مكَّنتهم من الوصول إلى تلك الأحلام..**

ومن أكثر الوصايا التي تعينك على ذلك: اللقاء بهم، وسماع أخبارهم، ومعرفة تجاربهم التي خاضوها في الطريق إلى مشاريعهم.

ولعلِّي في هذا المقام أنقل لك جزءاً من هذه التجارب، وأقرّب إليك مسافات الطريق، وأدلُّك على مستقبلك الكبير من أقرب الطرق وأيسر المسالك بإذن الله تعالى.

• **أول صفة من صفات أولئك الناجحين: أنَّ لديهم أحلاماً ورؤىً يعيشون من أجلها، ويبذلون في سبيل**

تحقيقها **كلُّ ممكن**، وما أنا بِعادٍّ لك تلك التضحيات التي بذلوها في سبيل ذلك..

- فهذا **محمد بن طاهر المقدسي** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يتحدَّث عن أحلامه، ويروي لك قصة نضاله، ويريك كيف صنع لحلمه مجداً، وكتب له تاريخاً، يقول: سمعت الحديث في أكثر من أربعين مدينة، وبِلْتُ الدم في طلب الحديث مرتين، مرة ببغـــداد وأخرى بمكة، كنت أمشـــي حافياً في الحرِّ فأصابنـــي ذلك، وما ركبت قط في طلب الحديـــث، وكنت أحمل كتبي على ظهري.

- **وابن القاســـم** رَحِمَهُ اللَّهُ يروي لك جـــزءاً من تلك الأحلام، ويقـــصُّ عليك عبيرها فيقـــول: رحلت من بلدي مصر إلى الإمام مالك في المدينة، وجلســـت عنده ســـبعة عشـــر عاماً، فبينما أنا عنده دخل علينا شاب ملثَّم، فسلَّم على الإمام مالك. وقال: أفيكم ابن القاسم؟ فأُشير إليَّ، فأقبل يقبِّل عيني، فإذا هو ابني، تركت أمه حاملاً به قبل سبعة عشر عاماً، وقد خيَّرتها بين البقاء أو الطلاق، فاختارت البقاء.

- وروى لنا **البخاري** عن بحر تلك الأحلام التي كان يعيشـــها، فكان كلما وضع جســـده المنهك من التعب على ســـرير نومه؛ نازعته فوائـــد العلم، فيقوم مرات ومرات من أجل العلم!..

وهتفت أحلام **ابـــن الجوزي** به، فقـــال: إنَّني لو قلت: إنَّني طالعت عشـــرين ألف مجلـــد كان أكثر، ولا زلت في الطلب.

- وعاش **تاكيو أوساهيرا** الياباني ثماني عشرة سنة خارج بلاده ومسقط رأســـه اليابان، عاش خلال هذه السنوات يبحث عن سرِّ تفوق أوربة الميكانيكي، ولم يَـــرَ أرض اليابان طول تلك الســـنين، ثم عاد بعد أن حفظ الدرس، وأتقن الصنعة؛ ليطبِّقها واقعاً عمليّاً في بلاده.. يقـــول: بعـــد أن رأى رئيس الدولـــة اليابانية المحركات وهي تشـــتغل بأرض اليابـــان ذهبت إلى بيتي ونمت عشـــر ســـاعات، وهي أول مرة أنام فيها عشر ساعات كاملة منذ خمسة عشر عاماً.

- ورحل الحافظ **ابن منده** رحمه الله تعالى لطلب الحديث وعمره عشرون عاماً، ولم يرجع إلى بلده إلَّا وعمره

خمسة وستون عاماً، ثم تزوَّج بعد أن صار شيخاً في السبعين.

وقد قال الأول: الذين يختارون الطرق السهلة لن يصلوا إلى شيء من تلك الأحلام.

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً
تعبتْ في مرادِها الأجسادُ

• بقي السؤال الضخم: ما أحلامك التي تعيش من أجلها؟! وهل أنت مستعد للبذل فيها ومن أجلها كل شيء؟..

أريدك أن تكون في مستوى الحدث، **ابعث لنا أحلاماً تستحق السفر والسهر والبذل والعطاء في كل شيء**، وغداً بإذن الله تعالى تكون معلِّماً للحياة.

- **وأذكِّرك وأنت تتأمل أحلامك: ألَّا تكون نسخة من غيرك**، ابحث عن تخصصك وفكرتك ومجالك وتوجُّهك واصنع فيه وله كل شيء.

- **وأذكِّرك كذلك بأن ترفع سقف أحلامك**، وكن كأبي بكر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ حين قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ**

فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟.

قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

يقول لرسول الله ﷺ : همَّتي وطموحي وآمالي وأحلامي ألَّا أدخل من باب واحد يوم القيامة، وإنَّما أدعى من أبوابها الثمانية كلها.

وهي الأحلام ذاتها التي اهتزَّ لأجلها عرش الرحمٰن في وداع سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه ..

وقد بلغك أنَّ عمر رضي الله عنه كان باباً دون الفتن، ويوم ودَّع الدنيا انكسر باب الفتن وفات الأمة بفواته شيء عظيم!.

- **ومن صفاتهم: أنَّ لديهم رغبة عارمة لا تقبل الاستثناء في شـــيء من تلك الأحلام التي تجري في مشـــاعرهم**، فرق كبير بين إنســـان يريد شيئاً، وآخر تجري مشاعر ذلك الحلم في قلبه، ويقتات من روحه، ويبلغ وســعه في كل جزء من حياته، ويعيش مناضـــلاً من أجـل ذلك الحلـــم الكبير ما بقيت الدنيا.

- **ومن صفاتهـــم: أنَّهـــم يملكون قناعـــة كافية بأحلامهم، ولا يمكن لبشـــر في الدنيا أن يصرفهم عن ذلك الحلم الذي اختـــاروه ولو كان في الطريق ألف عقبة.**

هذه أهم ثلاث صفات للناجحين؛ إذا آمنت بها، وأقبلـــت عليها صادقـــاً، وكانت جزءاً مـــن حياتك؛ استطعت أن تكون ضمن تلك القوافل المباركة التي أسعدت العالم من حولها، فضلاً عن إسعاد نفوسهم في كل شيء.



مشكلتنا ليست أننا نجهل سمات الناجحين وصفاتهم، غير أننا لا نصبر على لأواء الطريق الذي سلكوه، ولا ندفع له ما يستحق حتى نبلغ به ومن خلاله النهايات.

* * *



١٢
رؤيتك لمستقبلك

• بِمَ تفكِّر هذه اللحظة التي تقرأ فيها أسطر هذا الكتاب؟ ما الذي يجري في مشاعرك؟ ما رؤيتك لمستقبلك؟ كيف تنظر لأيامك القادمة؟ ما الحلم الذي يشغلك؟ ما الفكرة التي تسيطر على عقلك وفكرك ومشاعرك؟ هل ثمة شيء يقتات من روحك كل يوم؟..

النجاح يا صديقي ليس حلماً عارضاً، ولا فكرة دخيلة على صاحبها، إن لم تكن لك رؤية تدفع بك كل يوم مسافة كافية إلى أحلام مستقبلك الكبير، وإلَّا قعدت في عرض الطريق دون شيء.

حدِّثني عن أحلامك، قل لي ما الذي يجري في مشاعرك؟ ماذا تتوقع بعد عام أو عامين أو خمسة أعوام من عمرك؟ من أنت اليوم؟ ومن أنت بعد عشر سنوات من تاريخك؟..

• **الكـــون يا صاحبي يجري وفــق نواميس ثابتة لا تتبدَّل؛ مـــن أخذ بها بلغ أمانيـــه**، وإلَّا فلا مفروح بشيء في قادم الأيام ولو عاش ما بقي الدهر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

ومـــن انتظر فواتـــح الفرج وهو قاعـــد؛ مات في النهاية يائساً وهو على ذات السرير.

• **الرؤية: واحـــدةٌ من الوصايا المهمـــة جدّاً لبناء مســـتقبلك الكبير، وشـــرط مهم جدّاً لتحقيق أحلام عمرك القادمة.**

وإذا أردت أن تعرف أثر هـــذا المعنى في صناعة التاريخ فتأمَّل حال نبيِّك ﷺ وهـــو يصنع واقعاً لهذه الرؤية في مشـــروعه الكبير؛ حين عـــرض عليه ملك الجبـــال أن يجتثَّ تلـــك الأمة المعارضـــة لمنهجه، والواقفة فـــي طريق أحلامـــه، والعاصيـــة عن تمثل فكرته، قال له: «**لا، أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً**».

المسألة ليست غلبة بالقوة، أو انتصارات وهمية! وإنَّما رؤية تُحرِّكه وتبعث في قلبه الآمال، وفي النهاية

صنع جيلاً قادراً على إدارة مشروع الإسلام حتى بلغ به الآمال.

فإن قلت: ما الرؤية التي تعنيها؟.

فأقول لك: الرؤية هي النتيجة النهائية التي تسعى لتحقيقها، وهي كلمة عامـة للأهداف، وهي المكانة التي تصوَّرتها عن نفسك بعد عشرات السنين.

- **ولهذا المعنى الكبير أدعوك:**

- أن تمنح نفسك وقتاً طويلاً لتحدِّد مشروعك أولاً.

- ثم تدوّن رؤيتك لهذا المشروع الكبير.

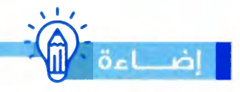
- ثم تبدأ رحلتـك الجادة فـي الطريق إلى تلك الأحلام التي خطَّها قلمـك، وقامت تأخذ حظها من قلبك ومشاعرك، وتسـتحوذ على وقتك وفكرك في مستقبل الأيام.

كتب مانديلا يقول: لقد علَّمني مشواري الطويل على درب الحريـة بأنَّ النجاح في التسـلّق إلى قمة جبلٍ ما؛ يكشـف للمرء أنَّ بانتظاره المزيد من هذه القمم كي يتسلَّقها، وهكذا دواليك!.

• وإذا أردت أن تكون عمليًّـا بدقة؛ فخذ قلمك ودوّن في هذه المســاحة رؤيتك لعشر سنوات قادمة من عمرك.

سأكون بعد عشر سنوات قادمة من حياتي ما يلي:

إذا كتبت هذه الرؤيــة بوضوح؛ علّقها على جدار مكتبــك، أو على جدار غرفة نومــك، أو في مدخل بيتك.. المهم أن تكون في مكان تتمكّن كل يوم من قراءتها والتأمل فيها، حتى إذا ما خامَرت مشــاعرك جرت فيها الحياة، وتحوَّلت إلى واقع مع الأيام.



أحلامنـا تصنـع مرتين: مـرة فـي عقولنـا حلماً ورؤية، والأخرى في عالـم الأرض واقعاً وتجربة.

***



١٣
ما همَّتك؟

• **كم من ناجحٍ مِنْ توقُّد همَّته! وكم من قاعدٍ من موتها!..**

- وقد قال **ابن القيم** رحمه الله تعالى: الهمة كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، وكلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان، فالآفات قواطع وجواذب.. فعلو همّة المرء عنوان فلاحه، وسفول همَّته عنوان حرمانه. اهـ.

- وهتف **ابن الجوزي** رحمه الله تعالى: قائلاً: ما تقف الهمة بصاحبها إلَّا لخساستها، وإلَّا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدُّون، وقد عُرف بالدليل أنَّ الهمة مولودة مع الآدمي، وإنَّما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثَّت سارت، ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم، أو كسلاً فسل الموفق، فلن تنال

خيراً إلّا بطاعتــه، فمن الذي أقبل عليــه ولم يَرَ كل مــراد؟! ومن الذي أعــرض عنه فمضـــى بفائدة، أو حظي بغرض من أغراضه؟!. اهـ.

- **ما زالت الهمَّة بأصحابهــا حتى ألقت بهم في معركة الحياة..**

ـ حدّث **عبدالله بن قيس**، عن أبي أمية الغفاري، قائلاً: كنَّا في غزاة، فحضر عدوّهم، فصيح في الناس فهم يثوبون إلــى مصافِّهم، إذا رجــلٌ أمامي، رأس فرسي عند عجز فرســه وهو يخاطب نفسه قائلاً: أيْ نفس، ألم أشهد مشــهد كذا وكذا، فقلتِ لي: أهلُك وعيالك، فأطعتك ورجعت؟! ألم أشــهد مشهد كذا وكذا، فقلتِ لي: أهلك وعيالك، فأطعتك ورجعت؟! والله لأعرضنك اليوم على الله، أخذك أو تركك.

فقلتُ: لأرمقنّه اليوم.. فرمقته، فحمل الناس على عدوِّهم فكان في أوائلهم، ثــم إنَّ العدو حمل على الناس فانكشــفوا فكان في حماتهم، ثــم إنَّ الناس حملوا فكان في أوائلهم، ثم حمل العدو، وانكشــف الناس فكان في حماتهم، قال: فوالله ما زال ذلك دأبه

حتى رأيته صريعاً، فعددت به وبدابته ســتين أو أكثر من ستين طعنة.

وهذا شــأن الهمم؛ هذا تنقله للحياة، وذاك تلقيه في عرض الطريق!.

- وقد قال صاحب «علو الهمة»: الهمَّة تصنع فارقاً حتى في الطير والحيوان، فهــذا العنكبوت من حين يولد ينســج لنفســه بيتاً، ولا يقبل مِنّة الأم، والحية تتطلَّب ما حفر غيرها إذ طبعها الظلم، والغراب يتبع الجيف، والصقر لا يقع إلَّا على الحيّ، والأسد يأكل الجائف، والفيل يتملَّق حتى يأكل، والخنفساء تُطرد فتعود، حتى قال الشاعر:

إنَّ الهَوَانَ حِمــارُ البيتِ يَأْلَفُهُ
والحُرُّ يُنْكِرُهُ والفيلُ والأسَــدُ
ولا يقيمُ بــدارِ الــذُّلِّ يَأْلَفُها
إلَّا الذليلانِ عَيْرُ الحيِّ والـوتدُ
هذا على الخَسْفِ مربوطٌ بِرُمَّتِهِ
وذا يُشَــجُّ فلا يَرْثي لَــهُ أَحَدُ

- وفي شـجون هذا المعنى اجتمـع **عبد الله بن عمـر**، و**عروة بـن الزبيـر**، و**مصعب بـن الزبير**، و**عبد الملك بـن مـروان** بفنـاء الكعبة، فقـال لهم مصعب: تمنّوا، فقالوا: ابدأ أنت، فقال: ولاية العراق، وتزوّج سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله، فنال ذلك وأصدق كل واحدة خمسمئة ألف درهم، وجهّزها بمثلها، وتمنَّى عروة بن الزبير الفقه، وأن يُحمـل عنـه الحديـث فنـال ذلـك، وتمنَّى عبد الملـك الخلافة فنالها، وتمنَّـى عبد الله بن عمر الجنَّة.

وما نَيْـلُ المَطالِـبِ بالتَّمَنِّي
ولكـنْ تُؤخَـذُ الدُّنيـا غِلابَا
وما اسـتعصى على قومٍ مَنالٌ
إذا الإقـدامُ كان لهـا رِكابـا

- قيل **للربيع بن خثيم**: لو أرحت نفسـك! قال: راحتها أريد.

- وقال **أحمد بـن داود**: دخلت علـى **أحمد بن حنبل** الحبـس قبل الضـرب، فقلت لـه في بعض

كلامي: يا أبا عبد الله، عليك عيال، ولك صبيان، وأنت معذور.. كأنّي أسهّل عليه الإجابة، فقال لي: «إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت».

- وقد قيل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: متى يجد العبد طعم الراحة؟ فقال: عند أول قدم في الجنَّة.

- وقد طوّف بك **ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فقال: وقد أجمع عقلاء كل أمة أنَّ النعيم لا يدرك بالنعيم، وأنَّ من آثر الراحة فاتته الراحة، وبحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا همَّ له، ولا لذَّة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمَّل مشقة الصبر ساعة قادته لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان..

- وكلَّما كانت النفوس أشرف، والهمة أعلى، كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل، كما قال **المتنبي**:

وإذَا كانتِ النفوسُ كِباراً

تعبتْ في مُرادِها الأجسادُ

- **وشام ابن نباتة السعدي** برق المجد في الهمة، فقال مذكّراً:

أعَاذِلَتـــي على إتْعَابِ نَفْسِـــي
وَرَعْيِي في الدُّجى روضَ السُّهادِ
إذا شَـــامَ الفَتَى بَـــرْقَ المَعَالي
فأهـــونُ فائـــتٍ طيـــبُ الرُّقادِ

- **وقد قـــال أبو بكـــر الصديق يصـــف القعقاع:** صوت القعقاع بن عمرو التميمي في الجيش خيرٌ من ألف رجل.

- **وكتب عمر بن الخطـــاب إلى عمرو بن العاص** حين طلب المدد في فتح مصـــر قائلاً: أما بعد: فإنِّي أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم مقام الألف: **الزبير بن العـــوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن خالد.**

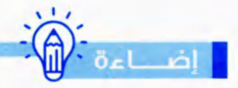
وقال رضي الله عنه يوماً لأصحابـــه: تمنُّـــوا، فقال رجل: أتمنَّـــى أنَّ هذه الدار مملـــوءة ذهباً أنفقه في ســـبيل الله عز وجل، وقال آخـــر: أتمنى لـــو أنَّها مملـــوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً أنفقه في سبيل الله، ثم قال: لكنِّي

أتمنَّى لو أنَّ هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح.

- وقال **يحيىٰ بن معين** إمام المحدثين: رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل، والأهرام، وسعيد بن عفير. اهـ.

ولو سألتني وسألت كل عاقل في الأمة عن الأمنية التي تخالج قلبه؛ لما قيل لك سوى أمنية عمر رضي الله عنه، وهل الرجال إلَّا بعض أفراح الدنيا؟!..

• **فقل لي بربك: ما همتك؟ وأين ستبلغ بك أمانيك؟ وما شأنك في أيام عمرك القادمة؟ وما أنت صانع في مساحات النضال؟.**



النعيم لا يدرك بالنعيم!..

***



أحاديث الراحلين

• أجمل هدية يقدِّمها كاتب لقرائه: أن يبعث إليهم أرواح آبائهم وأجدادهم من المقابر؛ ليجعلها شواهد حاضرة، وقدوات ماثلة؛ لتكون لهم معيناً صافياً، ومورداً عذباً للحياة!..

وحسبي أنِّي أسرد لك بعضاً من تلك الهمم التي طوَّفت بأصحابها في معارج العز حتى ذاقوا منها كل شيء.

- حدّث **المزني** رحمه الله تعالى يصف همة **الشافعي** للعلم، وشهوته لمسائله، فقال: سُئل الشافعي: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالكلمة ممَّا لا أسمعه، فتود أعضائي أنَّ لها أسماعاً تتنعَّم به ما تنعَّمت به الأذنان، قيل له: كيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجَمُوع المَنُوع في بلوغ لذته للمال، قيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلَّة ولدها وليس لها غيره.

ـ وهذا **محمد بن سلام شـيخ البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مـرة في حـال الطلب جالسـاً في مجلـس الإملاء والشيخ يحدِّث ويملي، فانكسر قلمه، فأمر أن ينادى: قلم بدينار، فتطايرت إليه الأقلام!.. فتأمل هذا على شدة حاجته وقسـوة ظروفه دفع ديناراً لقلم الكتابة، وقد لا يجد بعد ذلـك ما يأكل به؛ كل ذلك شـغفاً بالعلم وحبَّاً في مباهجه.

ـ وقال **علي بن أحمـد الخوارزمـي**: كنَّا بمصر سـبعة أشـهر لم نأكل فيها مرقة، نهارنـا ندور على الشيوخ، وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شـيخاً، فقالوا: الشـيخ مريض، فرأيت سـمكة أعجبتني، فاشـتريناها، فلمَّا صرنـا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا، فلم تزل السمكة ثلاثة أيـام، وكادت تنتـن، فأكلناها نيئة لـم نتفرّغ نشويها، ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد!..

ـ وكان الإمام **سُـليم بن أيوب الرازي** يحاسـب نفسه على الأنفاس، لا يدع وقتاً يمضي بغير فائدة، إما ينسخ، أو يقرأ، أو يدرس، وكان يقرأ في طريقه كثيراً.

- **والخليل بن أحمد الفراهيدي** يقول: أثقل الساعات عليَّ ساعة آكل فيها.

- وقال **عمّار بن رجاء** سمعت **عُبيد بن يعيش** يقول: أقمتُ ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تلقّمني وأنا أكتب الحديث.

- وكان **داود الطائي** يستفُّ الفتيت ويقول: بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

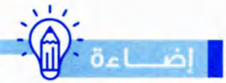
- وقال **ابن عقيل**: وأنا أقصّر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى إنِّي أختار سفَّ الكعك، وتحسّيه بالماء، على الخبز؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفراً على مطالعة، أو تسطيراً لفائدة لم أدركها.

- وذكر بعض الجالسين مع **شعبة** حديثاً لم يسمعه، فجعل يقول: «واحزناه!» وكان يقول: إنِّي لأذكر الحديث فيفوتني فأمرض، حتى قال شعبة عن حالهم: ما رأيت أحداً قط يعدو إلَّا قلت: «مجنون أو صاحب حديث».

- وذكر **عبد الرحمن بن تيميّة عن أبيه**، قال: كان

الجد إذا دخل الخلاء يقول: اقرأ في هذا الكتاب، وارفع صوتك حتى أسمع.

- **فهذه بعض أخبار القوم، وما صنعت فيهم الهمم، وكيف بلغوا آمالهم من خلال هذا المعنى الكبير! وحسبي أنَّني جعلتها كالسوط على ظهرك، ولعلها تنفخ فيك الروح، وتبعث في قلبك ومشاعرك الحياة.**



لا يُنال العلم براحة الجسم.

***



١٥
ذكريات الكبار

• **لن يجد الإنسان حديثاً أعطر له من ذكرى صاحب مجد جاء للحياة، وصنع فيها ربيعاً مورقاً قبل الرحيل، وكم من ذكرى تبعث في نفوسنا الشوق كل حين!.**

- رحل **جابر بن عبد الله** مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد..

- ورحل **أبو أيوب الأنصاري** من المدينة إلى **عقبة بن نافع** في مصر ليروي عنه حديثاً واحداً، فقدم مصر ونزل عن راحلته، ولم يحُلَّ رحلها حتى سمع الحديث، ثم قفل راجعاً إلى المدينة..

فلله ما أعذب هذه الأخبار! وما أجمل تلك الذكريات! وما أحلى تفاصيل هذه المعاني على النفوس.

- وقل مثل تلك الذكرى عن **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فقد باع سقف بيته من أجل الحديث، فصار «الموطأ» اليوم يعيد هذه الذكرى الباعثة للأشواق كل حين.

- قيل لأحد الكبار: بِمَ أدركت العلم؟ قال: بالمصباح، والجلوس إلى الصباح.

- وقيل لآخر، فقال: بالسفر، والسهر، والبكور.

- وحكت **فاطمة بنت الشافعي**: أنَّها في ليلة واحدة أسرجت لأبيها سبعين مرة!.

- وكان **البخاري** تنازعه لذائذ العلم، فيقوم عن فراشه ويوقد سراجه ويكتب خاطرته، يفعل ذلك ما لا يقل عن عشرين مرة في الليلة الواحدة.

- وقال **عبد الرحمٰن بن قاسم** أحد أصحاب مالك: كنت آتي مالكاً غَلَساً، فأسأله عن مسألتين، وثلاث، وأربع، وكنت أجد منه ذلك الوقت انشراحاً، فكنت آتي كل سحر.. فتوسَّدت مرة عتبته، فغلبتني عيني فنمت، وخرج مالك إلى المسجد ولم أشعر به، فركضتني جارية سوداء له برجلها، وقالت:

قم إنَّ مولاك قد خرج ليس يغفــل كما تغفل أنت، اليوم له تســع وأربعون ســنة قلَّما صلى الصبح إلَّا بوضوء العتمة، وقد ظنّت السوداء أنَّه مولاه من كثرة اختلافه إليه.

- وصاغ **الزمخشــري** تلك الذكريــات في معنى لطيف، فقال:

سَــهَرِي لتنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لي
من وَصْلِ غانيــةٍ وطِيْبِ عِناقِ
وتَمايُلي طَرَبــاً لِحَلِّ عَوِيصةٍ
أَشْهَى وأحْلَى مِنْ مُدامةِ سَاقي
وصريرُ أقلامي علــى أوراقِها
أحلى مِــنَ الدُّوكاةِ والعُشَّــاقِ
وأَلَذُّ مــن نَقْــرِ الفتــاةِ لِدُفِّها
نَقْري لأُلقي الرَّمْلَ عَنْ أوراقي
أأبيتُ سَــهْرانَ الدُّجَى وتَبيتُهُ
نوماً وتبغي بعدَ ذاكَ لَحَاقي؟!

- وإذا قرأتَ ســيرة **النووي** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الراحل من الدنيا في باكر عمره ستة وأربعين عاماً أدركتَ كم للذكرى

من شـــجن في النفوس، وما «المجموع»، و«شـــرح مســـلم»، و«تهذيب الأســـماء واللغـــات»، و«رياض الصالحيـــن»، و«الأذكار»، و«الأربعين النووية» اليوم إلّا بعض مشـــاهد تلـــك المعاني الكبرى في ســـيرة صاحبها.

ـ وقال **السُّبْكي** حاكياً عن **ابن دقيق العيد:** أما دأبه في الليل علماً، وعبادة فأمر عجاب، ربما اســـتوعب الليل فطالع فيها المجلد أو المجلدين، وربما تلا آية واحدة فكرَّرها إلى مطلع الفجر.

ـ وقد بلغك أنَّ ســـبب موت **هشيم** رحمه الله تعالى ازدحام طلاب العلم والمعالـــي عليه، فطرحـــوه عن حماره فمات من جرّاء ذلك !.

ـ وقد بلغـــك أنَّ **أبا بكر الخيـــاط النحوي** كان يدرس جميع أوقاتـــه حتى في الطريـــق، وكان ربما سقط في جرف أو خبطته دابة.

ـ وحُكـــي عن **ثعلـــب:** أنَّـــه كان لا يفارقه كتاب يدرسه، فإذا دعاه أحد إلى دعوة؛ شرط عليه أن يوسّع له مقدار المتكأة من الجلد يضع فيها كتباً ويقرأ.

وصدق قائلهم:

ما شَابَ عَزْمي ولا حَزْمي ولا خُلُقي
ولا وَلائي ولا ديني ولا كَرَمي
وإنَّما اعْتاضَ رَأسي غيرَ صِبْغَتِهِ
والشَّيْبُ في الرَّأسِ غيرُ الشَّيبِ في الهِمَمِ

- وإذا أردت ذكرى تبعث في نفسك الشجن، فاقرأ قصة **أبي الريحان البيروني** حين دُخل عليه وهو يجود بنفسه في أنفاس الموت، فقال للداخل: كيف قلت يوماً حساب الجدات الفاسدة؟ فقال له ذلك الداخل: أفي هذه الحالة؟ قال له: يا هذا أودِّع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة خيرٌ من أن أرحل وأنا جاهل بها!.. فما خرجت من عنده حتى سمعت الصراخ عليه.

- وسطّر **ابن الجوزي** رحمه الله تعالى مقولته الشهيرة في دفع بعض تلك الأوهام في حياة أصحابها، حين قال: الزهَّاد في مقام الخفافيش، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خير؛ من جماعة، واتباع جنازة، وعيادة مريض، إلَّا

أنَّهـا حالة الجبنـاء، فأما الشـجعان فهـم يتعلَّمون ويعلِّمون، وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام .

إذا أنتَ لا تُرْجَـى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ
ولم يكُ للمعروفِ عندَك مَوْضِعُ
ولا أنتَ ذُو جاهٍ يُعاشُ بِجَاهِهِ
ولا أنتَ يومَ البعثِ للنَّاس تَشْفَعُ
فَعَيْشُكَ في الدنيا وموتُك واحدٌ
وعودُ خلالٍ من وِصَالِك أنفعُ



وإنما اعتاضَ رأسي غيرَ صِبغَتِه
والشَّيبُ في الرأسِ غيرُ الشَّيبِ في الهِمَمِ

***



مشروعك الشخصي

- **ما مشروعك الشخصي؟ ما الفكرة التي تستعمر قلبك وروحـــك، وتجري في فلـــك يومك وليلتك؟ ما مشروع عمرك الحقيقي؟.**

ما القضيـــة التي تصبـــح كل يوم وهي ممســـكة بمشـــاعرك قبل كل شـــيء؟ حدِّثني عـــن أحلامك، وأفِضْ عليَّ من أشواقك، وكرِّر عليَّ حادي الذكريات لعلِّي أشبع من حديث المجد وما شـــبعت منه يوماً منذ عرفت الحياة!.

إذا وصلت إلى هـــذه الصفحة من هـــذا الكتاب فأرجوك رجـــاء محبٍّ أن تمنحني مشـــاعرك وقلبك ووجدانـــك وكل شـــيء فيك؛ لأنَّني ســـأحدِّثك عن المجد، وأقصُّ عليك فصـــول التاريخ، وأنا عازم أن أروي مشـــاعرك إلى أقصى مدى، فمـــا الحياة إن لم تكن حديثاً مدهشاً في عالم المشاريع ؟!..

حين أقول لك: «مشــروع عمر» فأنــا أنقلك من حالة الفــراغ والضيــاع والفوضى، إلى حالــة البناء والعمل والتضحيات.

• فَرْق يا صاحبي كما بين الســماء والأرض: بين صاحب فكرة ممتعة وقضية ضخمة ومشــروع عمر، وبين فارغ يجالد الساعات الطوال من عمره لا يدري ما يصنع فيها!.

• **مشــروع العمر** الذي أحدِّثك عنــه هو محاولة جــادة لأنْ تبني مجــدك وتكتب ذكرياتــك وتصنع أحلامك في هذه الدنيا؛ وتبقى ذكرى عاطرة للأجيال مهما بَعُد زمانك وطالت تلك الذكريات، وتأتي يوم القيامة في أعلى الجنان وقد صنعت لنفســك شــيئاً مدهشاً في الحياة.

- أريدك أن تعود لنفســك وتخلو بها وتجري معها حواراً طويلاً جدّاً لتخبرك في النهاية عن طموحاتها، عن مجالِها الذي تحبُّه، وتخصُّصِها الذي تعشقه، ومهاراتها التي تحسنها.. تحدثك عن الميول والعشق الذي تجري فصوله في نفسك ويأخذ من مشاعرك مداها.

- أريدك أن تتعرَّف بنفسك على ميولك ومهاراتك وقدراتك وإمكاناتـــك، كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤ـ١٥].

ثم إذا عرفت كل شـــيء عن نفسك يمكنك بعد ذلـــك أن تختار مشـــروعاً وفكرة وقضيـــة وتخصصاً ومجالاً وفنّـــاً تقضي فيه وقتـــك، وتجري فيه فصول يومك وليلتك، وتكتب فيه حظَّك، وتخدم في النهاية منه دينك ومنهجك، وتقرر من خلال جهدك وعملك وتركيزك في ذات المشـــروع، وتـــودِّع الدنيا يجري عليك بالحســـنات ما بقي الزمان، وتأتي يوم القيامة في عداد الفائزين المدهشين.

- أريد منـــك أن تخدم دينـــك ولا تتوقف حســـناتك بموتك وتبقى ذكرى صالحة للأجيال بعد الرحيل، وتتنفَّس مشاعر أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وهو يريد أن يكون ذكرى صالحة للأجيال بعـــد موته، وتجري له أنفـــاس الخير في تلك الأجيال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

- أريدك أن تختار مشـــروعاً يتناسب مع قدراتك ومهاراتـــك وإمكاناتك وطاقاتـــك، ووصيتي لك ألَّا

تكلِّف نفسك شـيئاً كبيراً، وألَّا تأخذ في المقابل أي شيء فيصبح صورةً وشكلاً ولا أثر له في بناء نفسك وتحديات زمانك.

• وإذا أخذت جولـة كافية في تاريخك **سـتجد أصحاب مشـاريع كبيرة وضخمة ورائعة ومدهشـة، وأثرها ما زال يجري في تاريخ الأمة حتى الآن.**

ـ كان **أبو هريرة** رضي الله عنه مثالاً لصاحب المشروع العلمي، وأخذ على عاتقه حفظ دين الأمة عن طريق حفظ السُّنَّة، وما زلنا حتى اليوم نترضَّى عنه في كل مجلس، وتجري أنفاسه في كل لحظة من آثار ذلك المشروع.

ـ و**عبد الرحمن السـميط** كان مشـروعه الدعوي ترجمة ضخمة لهمته؛ تفرّغ لدعـوة الأمة في إفريقية لدينها ومنهجها الحق، حتـى ودَّع الدنيا وفي ميزانه ما يزيد على ستة عشـر مليون نسمة ممَّن أسلم على يديه.. وقل مثل ذلك في كثيرين..

ـ ولعل من آخر ما يمكـن أن يصنع لك ربيعاً في هذا المعنى قصة المرأة في زمن النبي ﷺ، التي تعرَّفتْ أولاً على قدراتهـا ومهاراتها وإمكاناتهـا، ثم حدَّدت

مشروعها الذي يتناسب مع تلك القدرات والمهارات والإمكانات، فقررت أن تبني خباءً في مسجد رسول الله ﷺ وتعكف على تنظيفه، حتى رحلت من الدنيا.. فقام الصحابة بواجبها الشرعي من التغسيل والتكفين والصلاة والدفن، ولم يخبروا رسول الله ﷺ، فلمَّا جاء ﷺ من الغد فَقَدَها، فسأل عنها، فتأسف على فوات جنازتها، فذهب فصلى ﷺ على قبرها.

- **وأنا هنا قصدت أن أثير مشاعرك للحياة، وليس بالضرورة أن تعتنق مشروعاً من خلال هذه الفكرة العارضة، ولكنِّي أدعوك إلى قراءة كتابي الآخر «مشروع العمر» ففيه تفاصيل هذه الفكرة كاملة،** ولعلَّك تجد فيه ما يدفع بك للحياة، وتصبح جزءاً ضروريّاً من أمتك، ومساحة مدهشة في قادم أيامك.



حين تعثر على مشروعكَ، فقد وُلدتَ من جديد !.

***



المصابيح المضيئة

• لن تتخيَّل ضياع إنسان إلَّا حين ترى من يستيقظ في فجره؛ فلا يجد له هدفاً يجري في فلكه، ولا مشروعاً يأخذ من وقته، ولا حلماً يسيطر على فكره، ولا رؤية تدفعه للحياة في باكر كل يوم.

وآخر يستيقظ في الوقت ذاته وهو يملك كل شيء، ويجد رواء روحه في صباح فجره، وتجري به تلك الأماني في فلك العمل والبناء والتضحيات، ويرد منها في نهاية يومه وأسبوعه وشهره وعامه ونهاية عمره على كل شيء.

حين أُحَدِّثك عن الأهداف فأنا أحدِّثك عن المشاريع، ولن تجد أهدافاً مدهشة في يومك إلَّا إذا كانت تلك الأهداف تجري في فلك مشروعك، وتقطع منه كل يوم جزءاً حتى تبلغ منه النهايات.

الحديث عن الأهداف حديث عـن نمط الحياة التي تعيشها في قابل عمرك، وعن اللحظات المشرقة فـي واقعك، وعن الجمـال الذي سـيأخذ مداه في يومـك وليلتك، وعـن النهايـات المبهجـة التي سـتصنعها في واقعك وتبقيها ذكـرى للعالمين من بعدك، وما تصنع يا صاحبي بفراغ يأكل كل شيء، ولا يبقي للأفراح في قلبك معنـى، ولا يجري في حياتك بشيء.

- **وإذا أردت صـورة حية لِمَا ذكـرت فانظر لأثر الأهداف في حياة أبي علي القالـيِّ البغدادي**، الذي يأتي فـي أيام شـبابه وباكر عمره مبكـراً إلى درس شيخه ابن مجاهد، فإذا به ذات يوم أمام باب الدرس مغلقاً، فحاول جاهداً أن يفتحه ولا سبيل إلى ذلك، فقال في نفسه متأسفاً: سـبحان الله! أبكِّر هذا البكور ولا أقدر علـى القرب منه! قال: فنظرت إلى سَـرَب ـ أي: حفير تحت الأرض ـ بجنـب الدار، فاقتحمته أشد اقتحام، فلمَّا توسـطته ضاق بي ولم أقدر على الخروج، ولا على النهوض، فاقتحمته أشـد اقتحام حتى نفذت بعد أن تخرَّقت ثيابي، وأثَّر السَّـرب في

لحمي حتى انكشف العظم، ومنَّ الله عليَّ بالخروج، فوافيت الشيخ على هذه الحال، فهذه ندوب جسدي تدخل معي قبري.

ولعل في هـذه الصـورة ما يكفـي لإدراك أثر الأهداف في حياة الآخرين! وما لم تَجْرِ بك أهدافك إلى مثل هذه المعاني الكبار في حياة تلك الأجيال، وإلَّا فلا مفروح بها في قادم عمرك في شيء.

- **الأهداف وهمومها ومشاعرها الخصبة هي التي هتفت بالإمـام أحمد** رحمه الله تعالى، فرؤي في شـوارع بغداد على كبر وهو ممسـك ثوبه بفمـه ويعدو، حتى قال بعضهم: إلى متى هذا يا إمام؟ فقال كلمته الشـهيرة: مع المحبرة إلى المقبرة!.. ومـا تصنع بأهداف ميّتة لا قيمة لها في واقع إنسان!..

- وهي ذاتها التي جعلت من **جعفر بن دُرُسْتَوَيْه** يجلس فـي مجلس علي بن المدينـي لطلب العلم عصر اليوم، ينتظـر الدرس عصر الغـد؛ مخافة أن يُسبق على القرب من الشـيخ!.. واشوقاه للجادين! واشوقاه للأهداف التي تصنع فينا كلّ شيء! واشوقاه

لكل تجربة تجري في مشـــاعرنا قبـــل أن تأخذ من واقعنا أي شيء.

- وفي تاريخ أجدادك وسلفك: أنَّ **عبد العزيز بن محمد القروي الفاســـي** لمَّا دخل عليه بعض الفقهاء وكتب الفقه مبســـوطة بين يديه، وعرقه يتساقط على كتبه، وكساؤه في غاية ما يكون من الوسخ! فقيل له: ارفق بنفسك، واغسل كســـاءك. فقال: لي ستة أشهر أروم غسلها وما وجدت لذلك ســـبيلاً من أجل هذا الشـــغل، يعني: الانهماك في العلم!.. **فوا أسفاه على أجيـــال تذهب أعـــز أوقاتها فـــي وســـائل التواصل الاجتماعي، وتجري في فلك الفراغ، وتضيع سدى، ويموت الواحد منهم كلّ يوم ألف مرّة!..**

- وقد كان الحافـــظ **أبو العـــلاء الهمداني** فقيراً، ولكنَّه كان مولعاً بالكتب، فنودي ذات يوم في بغداد على بيع كتب ابن الجواليقي، فحضر البيع أبو العلاء الهمداني رحمه الله تعالى فنـــادوا على قطعة منها بســـتين ديناراً بالأجل لمدة أسبوع، فاشـــتراها وغادر إلى منزله في همذان، فلم يجد إلَّا بيع بيته وفاءً لغرامه ومشاعره،

فنادى على بيعه، فبلغ ستين ديناراً، فقال: بيعوا، قالوا: تبلغ أكثر من ذلك فانتظِر، قال: بيعوا، فباعه بستين ديناراً فقبضها، ثم رجع إلى بغداد فدخلها يوم الخميس فوفَّى الثمن، ولم يشعر أحدٌ بحاله إلَّا بعد مدة من الزمن.

قال ابن الجوزي: وبلغني أنَّه رؤي في المنام بعد موته في مدينة جميع جدرانها من الكتب، وحوله كتب لا تُحدّ، وهو مشتغل بمطالعتها، فقيل له: ما هذه الكتب؟ قال: سألت الله أن يشغلني بما كنت مشغولاً به في الدنيا فأعطاني. اهـ.

وقائلةٍ: لِمْ عَرَتْكَ الهمومُ
وأمْرُكَ ممتثلٌ في الأُمَم
فقلتُ: ذَرِيني على غُصَّتي
فإنَّ الهمومَ بقدرِ الهِمَم

فديتك أيها الهمداني، فديت همتك، وروحك ومشاعرك التي تعلِّمنا الحياة في زمن الفقر! لله كم بعثت في قلبي هذه اللحظة من أشواق! وكم تركت في نفسي من أحداث! وكم نفثت فيَّ من روح،

وبيننا وبينك الأشـــواق ذاتها، وغداً بإذن الله تعالى نلتقي فـــي مباهج الجنـــان، فنحـــدِّث بعضنا بتلك الذكريات!.



حين تملـك هدفاً فـي فجرك، فأنـت تملك كل شيء.

***



- **ما ثار غبار إلَّا مــن وقع قدم، وغبارك على قدر وقع قدمك، والركض في مرات كثيرة يصنع من ذلك الغبــار عواصف مثيــرة! وعلى قــدر ما تصنع تبقى الذكرى.**

وكم من خامل في الدنيا وقد عاش مئات السنين! وكم من صاحب أثر ما زالت ذكرياته أنفس ما تجود به الذكريات.

وكم من دمع تحدَّر من عيوننــا لذكريات خلَّدها الكبار، وأحداث تركوها تجري في مساحات مشاعرنا للأبد!..

وها أنــا أكتب إليك وقــد أخذ الدمــع مداه من عيني! ومن يملك دمعه وهو يقرأ سير الغابرين وقد سقوا الحياة من كل شيء.

ـ يقول التلميذ **الغزالي** وهو على مقاعد الدراسة: «سألني معلمي مدرس النحو وأنا طالب في المرحلة الابتدائية قائلاً: أعرب يا ولد «رأيتُ الله أكبر كل شيء» فقلت على عجل: رأيتُ: فعل وفاعل، والله: منصوب على التعظيم! وحدثت ضجة من الطلبة، ونظرت مذعوراً إلى الأستاذ فرأيت عينيه تذرفان! كان الرجل من أصحاب القلوب الخاشعة، وقد هزَّه أنيِّ التزمت الاحترام مع لفظ الجلالة ـ كما علَّموني ـ فلم أقل: إنَّه مفعول أول، ودمعت عيناه تأدُّباً مع الله تعالى! كان ذلك من ستين سنة أو يزيد.. رحمه الله وأجزل مثوبته!».

وأنا أقول: **واشوقاه للقدوات**! وإنَّ ضجَّة الفصل التي حدثت لكلمة (والله: منصوب على التعظيم) قفَّ لها شعر جسدي كله، والله المستعان!.

• وقال التلميذ **ابن الجوزي** وهو في حلق العلم في رسالة عن أثر القدوات: «لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه..

ولقيــت جماعــةً مــن علمــاء الحديــث؛ كانوا يتســامحون بغيبة يخرِّجونها مخــرج جرح وتعديل، ويأخذون علــى قــراءة الحديث أجرة، ويســرعون الجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع الخطأ..

ولقيت **عبد الوهاب الأنماطي**؛ فكان على قانون السلف؛ لم يُسمع في مجلســه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على ســماع الحديــث، وكنتُ إذا قــرأتُ عليه أحاديث الرقاق بكى واتصل بكاؤه، فكنت وأنا صغير السن يُعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل..

ولقيــت **أبا منصــور الجواليقــي**؛ فــكان كثير الصمت، شــديد التحرِّي فيما يقول، متقنــاً محقِّقاً، وربما سُئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتقن، وكان كثير الصمت، فانتفعت برؤيــة هذيــن الرجلين أكثر مــن انتفاعي بغيرهما». اهـ.

- وساق التلميذ **عبد الرحمن بدوي المصري** عن معلِّمه **مصطفى عبد الرازق** حديثاً مدهشاً، فقال: «لقد

كان النبل كله، والمروءة كلها، كان دائماً هادئ الطبع، باسم الوجه، لا يكاد يغضب، وإن غضب لم يعبِّر عن غضبه إلَّا بحمرة في وجهه، وصمت كظيم.. لقد كان آية في الحلم والوقار، لكنَّه وقار عفو الطبع، لا تكلُّف فيه ولا تصنُّع، وفي حالات الأنس لمحدِّثيه من الأصدقاء أو التلاميذ كان ودوداً، محبّاً للسخرية الخفيفة، وكان آية في الإحسان، ما لجأ إليه مظلوم إلَّا حاول إسعافه، أو صاحب حاجة إلَّا بذل ما استطاع، وكم له من أيادٍ بيضاء على طلابه!..» اهـ.

- **فقل لي بربك: ماذا تركت في زوجك وولدك وأسرتك؟ ما صنائع المعروف التي رفعت رايتها في مساحتك التي تعيش فيها؟ حدِّثني عن شيء مدهش يتحدَّث به من عاش معك وسار في الطريق ذاته ولقيك يوماً في عرض الحياة! دع من حولك يروي لنا قصة وفاء، وموقف شرف، ولقاء عز، وحديث ذكرى مبهجة تطول مع الأيام.**

وقد تعمَّدت أن أسوق لك هذه الشهادات في سبيل دقِّ جرس همتك، لتقف وتأخذ حظَّها من

الحيـــاة، ومـــن هـــو معلـــم الغزالـــي، وعبد الوهاب الأنماطـــي، ومعلـــم عبد الرحمـــن بـــدوي مصطفى عبد الرازق لولا الذكريات التي تركوها تأخذ مداها في نفوس أولئك الطلاب، ولم يبلها الزمان رغم طوله.



التاريخ حكاية على ألسنة المتعلّمين!..

* * *



من أفواه الهزائم تُلتقط الانتصارات

• العثرات التي تواجهنا في الطريق إلى أحلامنا ومشاريعنا وأهدافنا هي أول الأدلة على متانة تلك الأحلام والمشاريع والأهداف، وكل فكرة أو مشروع أو قضية أو حلم لا تلقى في الطريق إليها عقبات مانعة من وصولك وحائلة دون أحلامك، فهي أقل من طموحاتك ألف مرة!.

هيِّئ نفسك على أنَّ الأحلام التي تنشدها، والمشاريع التي تريد بلوغ آمالها، والأهداف التي تركض في رحابها كل يوم؛ مكلفة ومجهدة وشاقة، تحتاج إلى مؤمن بعقبات الطريق، ومؤمن في الوقت ذاته بكلفة النجاح، ومؤمن ثالثاً ورابعاً وعاشراً أنَّ بعض المشاريع والأهداف تحتاج روحك ثمناً لها في النهايات.

لا تُسأل في طريق مجدك وعزك عن: كم بذلت؟! وماذا أنفقت؟! وما الذي جرى عليك؟! وما التبعات

التي تحمَّلتها في سبيل الوصول؟! ذلك لأنَّ اللذة التي تبلغها تُنسي كل شيء، ولم يعد من كل ذلك سوى الذكريات.

- **يمكنك أن تقرأ التاريخ كله على مستوى الأفراد وعلى مستوى الأمم والدول، وسترى أنَّ الانتصارات الضخمة كانت مصحوبة أو مسبوقة بعثرات وإخفاقات، ولكنَّها قامت لتكتب حظَّها من الحياة من جديد..**

وأين أنت من **غزوة بدر** التي كانت نصراً للإسلام وأهله، و**أُحد** التي سالت فيها الدماء، ورحل فيها الكبار، ودالت على المسلمين بعد أن ذاقوا في أولها حلاوة النصر.. وهو المعنى ذاته الذي يجري في فلكه الأفراد لا فرق.

- ليكن لديك يقين أنَّ أمام مجدك ألف عقبة، وفي الطريق إلى أحلامك مسافات طويلة مليئة بالصعاب تحتاج إلى نضال كبير لبلوغ أحلامك.. **وإياك أن تعتقد أنَّ طريق أحلامك مفروش بالورود أو أنَّك بالغ تلك الأماني دون عثرات!..**

- لو أنَّك أخذت سيرة تاجر من التجار لقال لك بأنَّه خسر مرات، واستدان مرات، وقيل له ألف مرة من محبيه والمقربين إليه: تجارتك مجرد وهم سيضعك في قيود السجون يوماً ما.. غير أنَّه كان مؤمناً إيماناً لا يقبل الشك أنَّ هذه العثرات هي الطريق إلى المجد، وهي عربون ذلك الثمن الكبير، ثم فتح الله تعالى عليه في النهاية حتى أصبح تاجراً يروي للمثبطين قصص تلك النهايات.

- ومثل ذلك طالب العلم، وصاحب المسؤولية وغيرهم كثير، وتجري فصول هذا المعنى حتى في تعلُّم مهارة من المهارات، فضلاً عن غيرها من التجارب الضخمة والكبيرة.

- **لقد علَّمنا نبينا ﷺ أنْ نتفاءل حتى في أحلك الظروف، وألَّا تهزمنا ظروف الحياة وعقبات الطريق ولو بلغت من حياتنا كل شيء، وألَّا نرخي رؤوسنا للرياح العاتية إلَّا بقدر ما يسمح لها بالعبور.**

وإذا أخفقت ألف مرة، وسقطت ألفاً أخرى فقد بنيت قاعدة تصلح للنزال، وغير قابلة

للانكسار في مستقبل الأيام، وفي الحديث: «**واعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسراً**».

- **ليس مهمّاً عدد العثرات التي تلقاها في طريق مجدك، ولا أحداث النكبات التي تواجهها في حياتك، المهم ألَّا يتسلل الوهن إلى نفسك، ولا يأتي إلى قلبك لحظة ضعف**، ولا تصيب عزائمك عقبات الطريق، وأنت المسؤول الأول عن بقاء وهج الاستعلاء في روحك، ولا يسري في مشاعرك شيء من اليأس والأسى، ومهما كانت عوائق الطريق فهي الحادي للحياة.

وإلى هذه اللحظات لا أعرف نصراً جاء من واقعٍ باردٍ في حياة صاحبه، ولا ميلادَ لحظةِ فرحٍ جاءت عقبَ النوم إلَّا تلك المواليد التي لا قيمة لها في واقع صاحبها بشيء.. والجماهير عادة لا تقف على الطريق إلَّا لصنَّاع الحدث فحسب.

- كتب **مانديلا** المناضل عن الحرية بعد اكتمال سبعة وعشرين عاماً وهو بين قضبان الحديد،

وخرج للحياة ولم يتمكَّن الســجن بكل ما فيه من الاســتبداد مــن وقــف أنفــاس الحرية فــي قلبه ومشاعره، كتب يقول:

«كنت حينذاك مهمّشــاً، ولكنَّني كنت أعلم أنَّني لــن أتخلَّى عــن المعركة، كنــت في بيئــة مختلفة وصغيرة حيث الجمهور هو أنفسنا وسجّانونا، ولكنَّنا نظرنا إلى المعركة داخــل المعتقل كصورة للمعركة ككل، فقد كانت هناك في الســجن العنصرية نفسها خارجه، والاضطهاد نفسه كالذي في خارج السجن، ولم يدر في خلدي قط أنَّني لن أخرج من الســجن يوماً من الأيام، وكنت أعلم أنَّه سيجيء اليوم الذي أسير فيه بحرية تحت أشعة الشمس، والعشب تحت قدمي، لأنَّني إنســان متفائل، وجزء من هذا التفاؤل أن يُبْقي الإنســان جزءاً من رأسه في اتجاه الشمس، وأن يحرِّك قدميه إلى الأمــام، وكانت هناك لحظات عديدة مظلمة اختبرت فيها ثقتــي، ولكنَّني لم أترك نفســي لليــأس، فقــد كان ذلــك يعنــي الهزيمــة والموت». اهـ.

فقل لي بربك: كم هي أنفــاس الحرية في قلبك ومشـــاعرك! وكم تهــب منهــا للحياة في مســتقبل الأيام!..



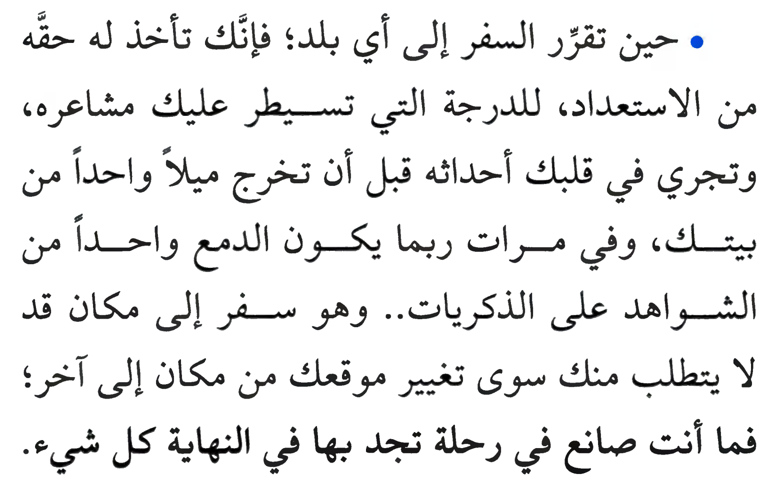
إذا كثرت تجاربك المخفقة ومحاولاتك الفاشلة؛

فقد بدأت مشوارك نحو مجدك الكبير بقوة.

* * *



النجاح رحلة



• حين تقرِّر السفر إلى أي بلد؛ فإنَّك تأخذ له حقَّه من الاستعداد، للدرجة التي تسيطر عليك مشاعره، وتجري في قلبك أحداثه قبل أن تخرج ميلاً واحداً من بيتك، وفي مرات ربما يكون الدمع واحداً من الشواهد على الذكريات.. وهو سفر إلى مكان قد لا يتطلب منك سوى تغيير موقعك من مكان إلى آخر؛ **فما أنت صانع في رحلة تجد بها في النهاية كل شيء.**

• يا صاحبي: **اجمع حقائب سفرك، وودِّع أصدقاءك، وقرّب راحلتك، وابدأ سفراً يجري عليك بأفراح الدارين!.**

- ليس بالضرورة أن تجمع في تلك الحقائب ثيابك وعدة سفرك وما تحتاج إليه في أيام الغربة، وإنَّما **تجمع فيها همَّتك وجديتك وروحك ومشاعرك التي تستنفر بها لمشروعك الكبير في النهايات.**

- ولا أعني بوداع أصدقائك فراقهم للأبد، وإنَّما **أعني تركيزك على مشروعك وقضيتك وقصة مجدك،** وقد تنشغل عنهم زمناً طويلاً حتى تبلغ من مشروعك ما ترجوه من آمال في قابل عمرك.

- **النجـاح رحلة بأشـواقك وأفـراح قلبك وأيام مجدك الكبير قبل كل شـيء،** ومن لـم يجد روحه ومشـاعره وقلبه في مثل هذا النوع فلا مفروح به في شيء.

وهي في الوقـت ذاته رحلـة وتجربـة لقدرات الإنسان وتضحياته في سبيل فكرته وقضيته ومشروعه، رحلة مع العقبات والصعاب التي سيقابلها في طريق تلك الأحلام والأفكار التي يعيش من أجلها.

- **زاد هذه الرحلة الكبير أولاً: إيمانك بالله تعالى، وحسن صلتك معه، وإقبالك على طاعته..** وما حاجة رحلتك إلى شيء حاجتها لهذا المعنى الكبير.

فإذا بدأت رحلتك فيمِّم وجهك إلى ربك تعالى، واقصده فيما تريد، وعلّـق قلبك به، ولا تبرحه طرفة عين، فإنَّك وارد إلى أمانيك أقرب ما يكون.

كن متيقِّناً وأنت في الطريق بأنَّ الله تعالى إذا رضي عنك فقد رضي عنك كل شيء، وإذا قبلك تحقَّق لك كل شيء، واعلم أنَّ هذا أعظم زادٍ لرحلة الناجحين! ومن أحسنه وأقبل إليه ودفع له كل شيء جرت مشاهد النجاح في حياته أعجل ما تكون. **ولا تنسَ الدعاء؛ فهو الطريق إلى كل ما ذكرت.**

- وإذا قرأت **سيرة نبيك** ﷺ في غزوة بدر، وكيف عرف أثر هذا المعنى في تحقيق أمانيه، للدرجة التي ركب العريش وما زال يدعو ويردِّد: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض بعد**» حتى سقط رداؤه عن ظهره.. ثم حان موعد النصر في الخواتيم. وقد قال الأول:

إذا لم يكنْ عونٌ مِنَ الله للفتى
فأوَّلُ ما يَجْني عليه اجتهادُهُ

وصدق من قال: إنَّنا لو وصلنا الليل بالنهار دأباً، ثم حُرمنا عناية الله تعالى؛ فلن نحصد من تعبنا إلَّا بواراً. اهـ.

وفي سورة المزمل ذكريات كبيرة لهذا المعنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:١ـ٤].

وقد قام ﷺ حتى تفطَّرت قدماه، وبلغ جوده في سبيل الله تعالى الريح المرسلة، وكان يصوم طويلاً، ويصل استغفاره في المجلس الواحد ما يزيد على مئة مرة!..

وأنت إذا أردت توفيقاً وسداداً لأفكارك ومشاريعك؛ فعليك بهذا الطريق تبلغ أمانيك في قادم الأيام.

وقد كان شيخ الإسلام **ابن تيميّة** يفقه هذا المعنى بجلاء، وما زال يأخذ منه حظَّه حتى بلغ أمانيه، يقول تلميذه ابن القيم وهو يحكي سيرته: رأيته يصلِّي الفجر في الجماعة، ثم يجلس حتى ينتصف النهار أو يكاد! فسألته: ما هذا يا إمام؟! قال: هذه غدوتي، لو لم أتغدَّها لم تحملني قواي. اهـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن فضائل الذكر: إنَّه يسهِّل الصعب، وييسِّر العسير، ويخفِّف المشاق، فما ذكر الله تعالى

على صعبٍ إلَّا هان، ولا مشقة إلَّا خفَّت، ولا شدّة إلَّا زالت، ولا كربة إلَّا انفرجــت، إنَّ الذكر يعطي الذاكر قــوة؛ حتى إنَّه ليفعل مــع الذكر ما لم يطق فعله بدونه..

قال: وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام في مشيه وكلامه وإقدامــه، وكتابته، أمراً عجيبــاً.. قال: وكان يكتب في يوم ما نكتبه في أســبوع، ومــا يكتبه في جمعة نكتبه في شهر. اهـ.

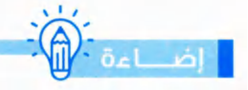
وقد بلغك أنَّه كتب «الواســطية» مستوفزاً ما بين صلاة الظهر والعصر، وتدرّس اليوم فيما لا يقل عن عامين.. وكتب كتابه «نقض التأســيس» فيما لا يزيد على شــهر، وقد حُقّق اليوم في الجامعات في ثماني رسائل يصل زمان تحقيقها إلى أربعين عاماً.

وإذا كنت مشــتاقاً للبناء فلا أقل من أن تسير في الرحلة إلى هذا الطريق من هذا المعنى الكبير.

- **ومن لوازم هذه الرحلة: أن تشــحن نفسك كل يوم بذكريات الناجحين وأســواط المجربين؛** سواء عن طريــق الكتــب التــي تحتفــي بالناجحين، أو

الصوتيات التي تدفع بك إلى اللحاق بهم حتى لا تقف كالّاً عن مواصلة الطريق.

- **ومن لوازمها: أن تكتب رؤيتك، وتدوّن هدفك، وتشبع منها روحك ومشاعرك في كل صباح.**
- **ومن لوازمها كذلك: أن تصحب ناهضاً؛** كلما رأيت سراج خيله أسرجت خيلك للحاق، وإياك أن تأخذ رفيقاً بارداً عن هتاف المجد.
- وإن كان لك في الختام من شيء، **فضع لك خبيئة صالحة بينك وبين الله تعالى،** لعلها تجري لك بما لم تحط به تلك المعاني كلها في النهايات.



حقيبتك التي تصحبك في سفرك ليس بالضرورة أن تكون لمادياتك فقط، ضع فيها ما يجري لك الحياة.

***



عادات الناجحين

• من فقهك وكمال وعيك إذا أردت أن تبدأ فصول النجاح في حياتك، وتبدأ مشاهد العز والكرامة والمجد في واقعك: **أن تعتني بقضية العادات، وتسبر سير الناجحين في هذا المعنى بالذات، وترى ما العادات التي بَنَتْ لهم تلك الآمال! والتي تحقَّق لهم من خلالها ما يريدون!** خاصة وقد بلغك أنَّ الناجحين مجموعة عادات إيجابية، وأنَّ المخفقين هم في المقابل مجموع عادات سلبية في النهاية.

- يمكنك أن تسبر سيرة أي ناجح تراه في واقعك، أو تقرأ فصول قصته في بطون الكتب، وستجد في النهاية بأنَّه مجموعة من تلك العادات التي بناها في نفسه، وبلغ منها في النهاية ما يريد.

- ولعلي قبل أن أحدِّثك عن بعض تلك المعاني؛

أدلف إليك بحديث العادة عن نفسها، وأثرها الكبير في حيـاة الناجحيـن، ودورها الخطيـر في تهميش وإخفاق كثيرين، تقول:

إنَّنـي صديقتك الدائمة.. أنا أهـم من يعاونك على نجاحك ومجدك وتاريخك الكبير، وأهم من يصنع إخفاقك، ويكرّس فشـلك، ويزيد متاعبك. سأدفعك إلى الأمام، أو سأقودك للفشل والإخفاق لا فرق.

أنا رهن أمرك تماماً؛ قـد تلجأ إليَّ لتقوم بنصف الأشياء التي اعتدت القيام بها، وسأعمل على القيام بها بسرعة وبشكل صحيح.

إنَّني سهلة الانقياد، فيجب أن تكون حازماً معي إلى أقصى ما يمكن؛ لأنَّ أي تسـاهل معي سيجري بك في فلك الضياع.

يجب أن توجِّهني لكيفية القيام بالأشـياء، وبعد دروس قليلة سأقوم بها تلقائيّاً.

إنَّني خادمة لكل الرجال العظماء، وللأسف لكل

الفاشلين أيضاً.. أولئك العظماء أنا من جعلتهم كذلك.. وكذلك الفاشلون.

أنا لست آلة على الرغم من أنَّني أعمل بالدقة نفسها؛ قد تديرني من أجل الربح، أو تديرني من أجل الدمار، لا فرق عندي.

خذني، درِّبني وكن حازماً معي، وسأضع العالم تحت قدميك.

كن متساهلاً معي وسأدمرك. اهـ.

ولعلك فقهت عنها متين قولها: خذني، درِّبني، وكن حازماً معي، وسأضع العالم تحت قدميك. كن متساهلاً معي وسأدمرك. ومثلك أوعى بما يقال لك.

• **أول العادات وأهمها على الإطلاق: عنايتك بوقتك، وإجلالك له، وتعظيم لحظاته**؛ فمن عني بوقته جرى له كل شيء على ما يريد، ومن أضاع وقته لم يَجْنِ من فوات ذلك إلَّا الضياع.

وفي كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ إجلال لهذا

المعنى إلى أقصى مدى! وقد كان الواحد من السلف أشد شحّاً على وقته منه على درهمه وديناره!..

وإذا كانت الثلاث دقائق تصنع فيها ركعتين لله، والعشرين الدقيقة كافية لقراءة جزء من كتاب الله تعالى، والخمس عشرة دقيقة كافية لقراءة عشر صفحات كل يوم؛ فماذا بقي لك من الأرباح؟!..

- **ومن العادات: أن يكون لك عناية بإجلال صلاة الجماعة وإدراك تكبيرة الإحرام، والضحى، وقيام الليل، وكثرة الدعاء**؛ فإنَّ هذه المعاني إذا أصبحت جزءاً من يومك وليلتك قرّبت لك كل بعيد، وأدنت لك كل مطلوب، وصنعت الحياة أعجل ما تكون.

- **ومن العادات: إجلالك لمواعيدك، وتقديسك لها، وجعلها جزءاً من شخصيتك**؛ فمن كان كذلك أوشك أن يبلغ أمانيه، ولو لم يكن من آثار تخلُّفها إلَّا أنَّ صاحبها في عداد المنافقين لكان كافياً.

- **ومن تلك العادات: تدوين أهدافك كل شهر، أو كل أسبوع**، فمن أصبح على هدفه أوشك في ليله على التمام، ومن استيقظ لا يعرف أين يتَّجه لم

يصل إلى شيء، وليس في الدنيا كلها ناجح لا يملك هدفاً مدهشاً، ومن تعوّد على تدوين أهدافه والحرص عليها والمثابرة على طريقها لقي في النهاية كل شيء.

- **ومن تلك العادات: إدارة أولوياتك**؛ وهي أن تصبح وأنت تعرف ما أهم ثلاثة أشياء يجب أن تبدأ بها في صباحك الباكر، وهي أول ما تنتهي من أهدافك وأعمالك.

- وفي هذا المعنى **قصة جريج العابد** الذي كان في أعلى صومعته يتعبَّد لله تعالى بالنوافل، ونادته أمه ثلاثاً فلم يجبها ظنّاً أنَّ الصلاة أولى، وفاته أنَّ إجابة أمه أوجب من نافلة الصلاة، فسألت الله تعالى قائلة: اللهمَّ لا تمته حتى تريه وجوه المومسات (أي: الزواني) وجرت عليه آثار الدعوة، فاتُّهم بالزنى، وأخرج من صومعته وكسرت، وطيف به تشهيراً على بيوت تلك المدينة، حتى مرَّ على بيوت الزواني، فتذكر أنَّ ذلك من جرَّاء دعوة أمه، وكل ذلك لتفريطه في إدارة الأولويات.

- وإذا قرأت **سـيرة نبيك** ﷺ وجدت هذا المعنى أبرز ما يكـون، قالت عائشـة رضي الله عنها: كان ﷺ في مهنة أهله، فإذا سمع النداء خرج إلى الصلاة يردد: **الصلاة، الصلاة**.

- وقال **عيسى بن موسى الهاشمي**: مكثت ثلاثين سنة أشـتهي أن أشـارك العامة في أكل الهريس في السـوق، فلا أقدر على ذلك لأجل البكور إلى أهل الحديث.

وكان **ابن الجوزي** يستقبل ضيوفه بحزم الأوراق لتقطيعهـا، والأقلام لبريها؛ يسـتعدُّ بهـم لأولوياته الأهم.

وما ذكرته لك بعضاً من عادات الناجحين وليس كلها، وحسـبك أن تعضَّ عليها بنواجذك حتى تبلغ منها المراد في النهايات.

- **فـإن أردت الإجابة على السـؤال الكبير: كيف أبني هذه العـادات؟ وما الطريق إلـى ذلك؛ فلعلك تجد فـي كتابي «كيـف تبني عاداتـك الإيجابية؟» ما يجري لك الحياة في هذا المعنى بالذات.**



نجاحك في النهاية وقف على عدد العادات الإيجابية التي تجري في واقعك كل يوم.

* * *



- **كثيرون أولئك الذين ينتظرون! ينتظرون مركباً في الطريق، وينتظرون قــراراً جديداً، وغيباً قادماً مع الأيام!** وما زالوا ينتظرون! تجري السنون في حياتهم ويتقدم بهم العمر وتفــوت عليهم فرص الحياة رغم كثرتها وهم ينتظرون ذلك الغيــب، والأماني تجتاح قلوبهم فلعلهم يجدون في ذلك الغيب ما يريدون.

من الطريف جدًّا: أنَّ كل إنسان يملك الرياح التي تعصف بواقعه، وتكتب حظها من تاريخه، وتصنع له أمانيــه.. ثم هو فــي النهايــة لا يحرِّك بها ســاكناً، ولا يجــري بها أمانــي قلبــه، وما زال فــي خندق الانتظار.

خرج إنسان ذات مساء للترويح عن نفسه، فبينما هو في الطريــق إذ هو بآخر يبحث عن شــيء تحت ضوء أحد مصابيــح إنارة الطريق، فســأله المار: عمَّ

تبحث؟ فقال: عن مفتاح سيارتي!.. فعرض عليه أن يساعده في البحث عن ذلك المفتاح، فرحَّب به، وبعد ساعات من البحث قال المار لصاحبه: لقد بحثنا عنه في كل مكان ولم نجده، فهل أنت واثق أنَّك فقدته في هذا المكان؟ فقال الرجل: كلّا! لقد فقدته في المنزل، قال له: ولم تبحث هنا؟ قال: الإضاءة هنا أفضل، هنا تحت ضوء المصباح!..

هذه القصة تصلح لكثيرين في مثل زمانك يملكون كل شيء وما زالوا يبحثون عمَّن يأخذ بأيديهم ويعينهم على النجاح، ويدفع بهم للحياة، ويصنع لهم كل شيء.

وإنِّي أقول لك: يا صديقي لقد حان الوقت ويكفي انتظاراً.

- **أدعوك هذه اللحظة أن تتخلَّى عن انتظارك، عن ذلك الغيب الذي أمضَّ مشاعرك وقلبك دون شيء، أدعوك أن تأخذ حظك من الحياة، وتقرر فيها التخلي عن مبرِّرات تخلُّفك وتأخُّرك، وتبدأ بصناعة قصة حياتك من جديد؛ ففي نفسك التي بين جنبيك ألف معنى.**

ـ **ابـــدأ تاريخك ومســـتقبلك** من خلال نفســك وموجوداتك ومدَّخراتك الكبرى، ودعك من الانتظار فلن يجلـــب لك إلَّا الضيـــاع، تخلَّص مـــن الخوف والقلـــق الذي يســـاورك عنـــد محاولاتـــك الأولى؛ فحياتك أثمن من أن تضيع في التردد.

ـ **لا تنتظـــر**، يكفي عمرك الذي ضاع في مســـافة ذلك الانتظار، ومشاعرك التي ذبلت وأنت في انتظار ذلك الغيب، وروحك التي لديها ما يســـعد العالمين وهي لم تبدأ في الانطلاق.

ـ **ابـــدأ مشـــوارك، ودعك من كل وهـــم يكلِّفك انتظاراً في قادم عمرك**، فيومك أثمن بكثير من انتظار لا يصنع لك إلَّا الضياع.

ـ **ولا يضرُّك المجهول** الذي ســـتواجهه، والغيب الذي ستقتحمه؛ فالحياة محاولة جريئة أو لا شيء.

ـ **تعلَّم في كل مرة أن تكسر حاجز الوهم الذي يعترضك**، وقلق الخوف الذي يساورك، وكن أنت التجربة التـــي تحكـــي للأجيال قصـــة الملحمة الكبرى في واقع الأيام، ولو أردت أن أحكي لك

قصص المخفقين والفاشلين والقاعدين في العمل والبناء والتضحيات لرأيت أنَّ الانتظار أعظم سماتهم، والخوف من المجهول هو الذي قعد بهم في الطريق.

- **فإن قلت: كيف أبدأ؟ ومن أين؟ وما الطريق إلى تلك الأماني؟ فإنَّني سأقول لك: اقرأ في سير الناجحين، وقابل أولئك الملهمين، وصاحب من يوقدون في قلبك طلائع المجد،** ثم أنت أعرف بميولك وقدراتك وطاقاتك وإمكاناتك، حدِّد ما أمتع شيء بالنسبة لك! وما أقرب شيء إلى مشاعرك! وما المجال الذي تجده يخالل روحك وشغاف قلبك، ثم ابدأ فيه تجربتك، واقتحم أهواله، وبدِّد أوهامه واصنع لك قدوة؛ يتحدث العالم غداً عن قصتك كواحدة من قصص الناجحين في الحياة.

وما شرقت شمس إلَّا بعد ظلام! وما جاء الفجر إلَّا بعد ليل، وكم من يُسْر بعد عسر، وغالب النجاحات الضخمة ولدت من فم إخفاقات كثيرة،

ومواليد المشكلات بالآلاف، فكن واحداً ممَّن يصنع للحياة معنى، ويكتب في تاريخ أمته أسطراً من نور تصلح للاقتداء في مستقبل الأيام.



لا نحتاجك أن تجري في الطرق المسلوكة،

نحتاجك أن تفتح لنا طريقاً غير مسلوك.

* * *



٢٣
الحب

• ما نصنع بالحب يا رفيق العمر في طريق النجاح الطويل؟ وهل يصلح هتاف المشـــاعر ونحن نتسلّق الجبل، ونعاني كدَّ الصخر؟ ما لنا وللحب في ظلامٍ لا ترى فيه يدك فضلاً أن تسامر مشاعرك؟..

نعـــم يا صديقي، فـــي معركـــة العمـــل وصراع الأهداف وأحلام المشاريع نحتاج قلبك الذي ينبض بالحب، وروحك التي تشرق بالفأل، وأنفاسك التي تبعث الجمال في كل حين.

وما النجاح لولا إشراق قلبك وجمال مشاعرك وأنفاس حبك! وهل رأيت ناجحاً مفصولاً عن مشاعر الجمال؟!.

واشـــوقاه لحكاية حبٍّ لا تمل من قراءة حرفها، وكتاب لا تأتي على نهاية أوراقه من العشق، ومشاعر تنثر عبق أريجها في ساحة القلب!..

• **الحب كما يقول إقبال:** إذا تجرَّد منه إنسان كان صورة من لحـم ودم، وإذا تجرَّدت منـه أمة كانت قطيعاً من غنم، وإذا تجـرَّد منه كتاب كان حبراً على ورق، وإذا تجـرَّدت منـه عبادة صارت طقسـاً من الطقوس وهيكلاً بلا روح، وإذا تجـرَّدت منه مدينة أصبحت تمثـالاً لا حقيقة فيـه، وإذا تجـرَّدت منه مدرسة أو نظام تعليم أصبح تقليداً أو تكليفاً لا متعة فيه ولا حافز له! اهـ.

• وإذا أردت فصول هذا المعنى الكبير، فاقرأ في **سـيرة أعظم الناجحيـن فـي الحياة كلهـا محمد رسول الله** ﷺ وهو يرسم لنا معالم النجاح الكبرى، ويدلنا على طريق الأشواق؛ يُسـأل عن أحبِّ إنسانٍ إليـه، فيقـول للعالمين وليس للسـائل فحسـب: «**عائشـة**»! ويتحرى مواطن أكلها فيأكل من المكان ذاتـه، وينظر أين تشـرب من الإناء ثم يشـرب من المكان ذاته! وتودِّع خديجة رضي الله عنها الدنيا فإذا به يذبح الذبيحة ثم يوزِّعهـا على صديقاتهـا، وتطرق هالة أختها الباب بعد رحيلها، فيرتـاع ويقوم إلى الباب وهو يقول: «**اللهمَّ هالة**» يتذكـر بأنامل هذه الفاضلة

أنامل الراحلين! وهذا كله وهو يدير معركة لدين الله تعالى، ويجد مضَّ الأيام والليالي، ولم تشغله كلها مجتمعة عن لحظات الحب التي تأخذ مداها من قلبه ومشاعره.

وهذا أحد المشغولين بمعركة النصر والهزيمة في بناء مجده وتاريخه؛ أحد الرؤساء الأمريكيين، كتب لزوجه وهـي بأمريكا وهو بباريـس عندما كان يقود قوات الحلفـاء إبَّان الحرب العالميـة الثانية: مررت بآثار نوتردام، تلـك التي يأتي إليهـا الناس من كل أنحاء الدنيا، ولم أَرَ فيها شـيئاً يستوقفني.. إنَّ مجرَّد شـعوري بأنَّك غائبة بعيدة عني أفقدني متعة التطلّع إلى هذا المبنى الأثري القديم. اهـ.

وكتب زعيم إفريقي من باريـس إلى زوجته في السنغال، وقد كان سافر إلى العاصمة الفرنسية حاملاً دعوته لاسـتقلال بلاده.. كتب يقول: ما كدت أنتهي من إلقاء خطابي في نادي الصحافة حتى دوت القاعة بالتصفيق.. لقد نجحت في إقناع المسـتمعين بعدالة قضية بلادي.. ولكن بُعـدك يا عزيزتي عنِّي أفقدني

الشـــعور بلذة النجاح.. إنَّ صورتك لـــم تغب لحظةً واحدةً عـــن مخيِّلتي طـــوال الفترة التي اســـتغرقها خطابي.. فصورتـــك دائماً أمام عينـــي.. ليتك كنت هنا! اهـ.

أتسألني يا رفيق العمر بعد هذا عن الحب!.

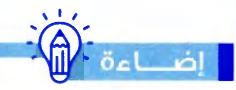
- **أنا هنا أريدك وأنت تســـعى للنجـــاح وتكتب حظوظـــك منه: أن تـــدرك أنَّ الجزء الأكبـــر من هذه الرحلة يأتي من خلال هذه المشـــاعر التي تدفع بها إلى من حولك.**

- أريدك زوجاً مدهشاً في بيتك، أريد منك كرجل أن تقول زوجك بعد زمن من العيش معك: إنَّ أسعد قرار في حياتها كلها هو قرار اختيارك كزوج، وهو في المقابل يقول بأنَّ أعظم قرار اتخذه في حياته هو قرار اختيارك كزوجة!.

- نحتاج ناجحاً كريماً شـــهماً مثالاً للجمال مع أســـرته وجيرانه وأرحامه وأصدقائـــه وكل من له علاقة به!.

- **من الأشياء المدهشة في حياة الناجحين: أن ترى ذلك العرق النازف من أجل مشاريعهم، وذلك الحب الذي يأخذ بقلوب الآخرين من حولهم**، وأسوأ شيء ذلك الانفصال الكبير بين مشــوارين: مشوار العمل والبناء والتضحيات، ومشوار الحب!.

- دعونا أيها المقبلون على المجد أن نرى صورة واحــدة؛ الجــزء الأول منها يتحدث عن المشــاريع والأفكار والمفاهيم والتصورات الضخمة.. وجزؤها الآخر يتحدث عــن الحب والجمــال وأنفاس الفأل والأمل، لا فــرق، حينها يمكن أن نكــون حكايات مدهشة للناجحين من حولنا في الحياة.



نحتاج أن نروى من مشاريعك وأحلامك وأفكارك، ونروى فــي الوقــت ذاته مــن مشــاعرك وقلبك وحنين أشواقك.

***



سر الانتصارات

• **لم يعد للانتصارات اليوم سر من الأسرار! بات كل شيء مكشوفاً للراغبين، وقريباً للطامحين، وسهلاً وفي ميسور الناهضين، غير أنَّ مشكلتنا ليست في الأسرار التي لا نعرفها في حياة الناجحين، وإنَّما في الأسرار المكشوفة للعالمين.**

وإذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة فاسأل كثيرين ممَّن هم حولك: لماذا لم ينجحوا! وستجد بأنَّ إجابات كل هؤلاء ليست في الجهل بتلك الأسباب التي كانت وراء أحلام الناجحين، وإنَّما عدم القدرة على فعل ما فعلوه، ولذلك يلوذون مباشرة بذكر الصعاب والعقبات التي تواجههم في الطريق.

ومع هذه الحقيقة المرة سنتحدث بلغة بعض هؤلاء، وأنَّ ثمة أسراراً للنجاح، وسنبيِّن لهم كلَّ شيء، وهم حينئذٍ بالخيار.

• **واحد من تلك الأسرار وأهمها على الإطلاق وأبرزها في تحقيق النجاح: «العمل»**: الناجحون يستقطعون أوقاتهم كلها أو جلها في العمل والتضحية في سبيل الفكرة التي يعيشون من أجلها ويحيون لها، وقد تسأل أحدهم فلا يفجعك قوله أنَّه يصرف على فكرته ومشروعه وقضيته ما يزيد على ست عشرة ساعة في اليوم!.

العمل لا غير هو السرُّ الكامن وراء كل المتميِّزين، والناجحين، والمبدعين.. أشهد بالله تعالى ثلاثاً أنَّ العمل يصنع من لا شيء شيئاً، وأنَّه السرُّ الكامن وراء كثير من إبداعات الناهضين! ولو أنك عدت لصفحات الكتاب الماضية وتأملت في سير المبدعين، لرأيت ما أشرت إليه واضحاً بيّناً لا يحتاج إلى بيان.

- وقد قال **أديسون** بعد جهاد طويل مع النجاح مقالته الشهيرة التي حكتها التجربة واقعاً معاشاً قبل أن يردِّدها على لسانه: «العبقرية (١٪) إلهام، و(٩٩٪) عرق جبين».

ودعني أقول لـــك: إذا أردت أن تكون في مقدمة الصفوف، وفي أول الركب، وأول الواصلين، وتجري ســـيرتك في أفواه العالمين؛ فليس عليك إلَّا أن تزيد في ساعات العمل والتركيز على هدفك، ومشروعك، وقضيتك، ودع عنك باقي الظنـــون، وأعدك بإذن الله تعالى أن تصنع ما يبقى تاريخاً لا يزول.

- ومن ذلك ما قال **الشـــعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حين سئل: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البـــلاد، وصبر كصبـــر الحمار، وبكـــور كبكور الغراب. اهـ. وهل خَلَّد ذكر الشعبي هذه اللحظة في سطور محدِّثك إلَّا العمل.

- ومثله في ذلك العالم **أبو الوقت السَّجزي**، قال تلميذه **يوسف بن أحمد الشـــيرازي**: لـمَّا رحلت إليه قدّر الله تعالى لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان، فسلَّمت عليه وقبَّلته، وجلســـت بين يديه، فقال لي: ما أقدمك هذه البـــلاد؟ قلت: قصدي إليك، ومعوَّلي بعـــد الله تعالى عليك، وقـــد كتبت ما وقـــع لي من حديثك، وسعيت إليه بقدمي.

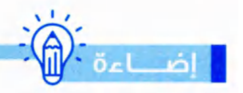
فقال: يا ولـــدي، تعلم أنِّي رحلت أيضاً لســماع الصحيح ماشــياً مع والدي من هَــرَاة إلى الداوودي ببوشــنج، ولي من العمر دون عشــر ســنين، فكان والدي يضع على يديّ حجريــن، ويقول: أحملهما، فكنــت من خوفــه أحفظهمــا بيديّ، وأمشــي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت أمرنــي أن أُلقي حجراً واحداً، فأُلقي ويخف عني، فأمشــي إلــى أن يتبيّن تعبــي، فيقول لي: هــل عييت؟ فأخافــه فأقول: لا، فيقول: لمَ تقصّر في المشــي؟ فأسرع بين يديه ساعة ثم أعجز، فيأخذ الحجر الآخر فيلقيه، فأمشــي حتى أعطب، فحينئذٍ يأخذني ويحملني، وكنَّا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا الطفل نركبه وإياك إلى بوشــنج، فيقول والدي: معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله ﷺ. اهـ.

- وهذا **أحمد بن محمد السـلفي** رحمه الله تعالى يقول: لي ستون سنة ما رأيت منارة الإســكندرية - وكانت من أعاجيب الدنيا الســبعة - إلَّا من هــذه الطاقة. يعني: طاقة حجرة المدرسة..

قال **الحافظ عبد القادر الرهاوي**: بلغني أنَّه مدة مقامه بالإسكندرية ما خرج إلى بستان، ولا فُرجة غير مرة واحدة، بل كان عامة دهره ملازماً مدرسته، ولا كنا ندخل عليه إلَّا ونراه مطالعاً في شيء. اهـ.

وثمة أمثلة مثل هذا المعنى وأكثر بألف مرة لولا خشية الإطالة عليك.

• **وإنِّي قائل لك: إذا أردت النجاح، وصدقت في عزيمتك وتوكلك، فقرِّر أن تبذل لهدفك ومشروعك وقصة حياتك عمرَكَ كله أو جلَّه**، نصف يومك إن لم يكن ثلثاه، فإن أبيت إلَّا القصور فلا أقل من أن تفرض له خمس ساعات مقدّسة في يومك وليلتك، وأعدك بإذن الله تعالى أن تحكي لنا مع الأيام قصة نجاحك الكبير وفصول أحلامك العظمى في قادم الأيام.



ليست العبقرية فقط: (١٪) إلهام، و(٩٩٪) عرق جبين، وإنما حتى النجاح كذلك.

***



• **من أعظم ما يميز الناجحين: فَأْلُهُم الكبير الذي يسيطر على نفوسهم في كل حين**، حتى إنَّك ترى الواحد من هؤلاء يعيش في الظلام، ويوشك على الغرق، وتحيط به الظروف من كل مكان، ولا يكاد يجد متنفساً.. ومع كل ذلك لديه إيمان يخالط مشاعره وروحه قبل فكره وعقله على أنَّ كل ما هو فيه إنَّما هو سحابة صيف وستزول مع الأيام، وأحلامه القادمة قاب قوسين أو أدنى!..

• ومن قرأ الوحي بوعي أدرك من هذا المعنى ما لا يخطر له على بال...

- قال الله تعالى وفي لحظات الهزيمة التي حلَّت بالمسلمين في غزوة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

- وأخبر أنَّ كل جهود الأعداء لا شيء في مقابل وعده الكبير: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

- وحكى القرآن أنَّ النصر والتمكين للمؤمنين يأتي في مرات في أحلك الظروف وأصعبها: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ﴾ [يوسف: ١١٠].

- وأخبرنا أنَّه في لحظة انتفاش الباطل، واستبداده في الأرض، أنّه في النهاية لا قيمة له: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

- وفي الحديث القدسي ألف معنى: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء، إنْ ظنَّ بي خيراً فله، وإنْ ظنَّ بي شرًّا فله**».

فابذل جهدك ووسعك واملأ قلبك يقيناً بالنصر، ولا تظنَّنَّ بالله تعالى ظنَّ السوء، عافانا الله وإياك من الضياع.

• وإذا كان هــذا يجــري فــي نصر أمــم ودول ومجتمعــات، فما الشــأن في نجاحك فــي فكرة أو مشــروع أو قضية أنت تملك زمامها وتكتب حظَّك الكبير من فصول نجاحها في النهايات؟!..

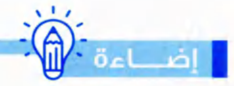
- وقد بدأ نبيك ﷺ مشــروعه وقضيتــه الكبرى وحيداً أمام أمة الكفر والنفاق، ولكنَّه بدأ مستوثقاً من النصر من خلال الفــأل الذي لم يغــب عن خاطره لحظة، وفــي الحديث: أنَّ صحابته شــكوا إليه مضَّ الأيام، وما زاد على أن قال: «**والله ليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يســير الراكــب من صنعــاء إلــى حضرموت لا يخــاف إلَّا الله، والذئــب علــى غنمــه، ولكنَّكم تســتعجلون**» ومتى كان هذا؟! في الوقت الذي كان الواحد منهــم لا يخرج إلــى خلائه إلَّا بالســلاح، ولا يأمن على نفســه لحظة، فضلاً أن يبيت ليلة من الليالي في أمان!.

- وفي غار حراء وكفار قريش على فم الغار، حتى قال أبو بكر: لو نظــر الواحد منهم تحت قدمه لرآنا! فقال ﷺ: «**ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما**».

ومثل هؤلاء هم أحق ما يكونون بالنجاح والفلاح والنصر والتمكين وإنْ طال الطريق!..

وهذا كله كما قلت لك حديث عن النصر على مستوى أمم ودول؛ فما بالك وأنت تخوض معركة على مستواك الشخصي، وبينك وبين قدراتك ومهاراتك، وأنت صاحب القرار في كل ذلك، وقد وعد الله تعالى بالعون والسداد لمن كان على الطريق: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- **فأقم لهذا المعنى في قلبك ألف حقيقة، وقم متوكلاً على ربك تعالى، وليكن يقينك بالفلاح والفوز أعظم ما يكون، ولتجرِ في حياتك أحداث العمل والبناء، وغداً بإذن الله تعالى ترى كل شيء.**



كل الهزائم قابلة للتعويض إلَّا هزائم اليأس والإحباط، فلا سبيل للنهوض منها ما بقي العمر.

***



٢٦

التفت للجهة المقابلة

• واحدة من مشــــكلاتنا: أنَّنا لا نــرى في مرات كثيرة سوى الصحراء التي تحيط بنا، والظروف التي نعيشها، والمشكلات التي نواجهها، فنبقى أسرى في المكان والمشكلة والظرف ذاته، ويصيبنا العمى عن كل الحقائق التي تفتح آفاقاً لنا في مستقبل الأيام.

إنَّني أدعوك وأنت تسير في طريق النجاح الطويل: أن تكون ممَّن ينظر للحياة من أفق أوســـع، ويرى أنَّ مع كلِّ ضيق فَرَجاً وفســـحة، وفـــي مقابل كل باب موصد ألف باب، ونوافذ الأمل أكبر بكثير من تلك المســـاحات التي تأخـــذ حظها ألماً من قلب إنســـان ومشاعره!.

- إذا أصابك ألم في جســـدك، فغيرك رهين على الســـرير الأبيض من ســـنوات لم يعد ينتظر ســـوى الموت.

- وإذا فقدت بعضاً من أعضائــك، فغيرك أعمى منذ ولد، ومشلول منذ سنوات، ومسجون منذ زمن.

- وكم من الموتى وما زلت حيّاً!.

- كم من إنسان فقد أسرته، وتهدَّم بيته، وضاعت وظيفته، وأنت في أمن وبيت وأسرة، ونعم الله تعالى تجري في كل لحظة!..

- حين تخفق في وظيفة، أو ترســب في امتحان، أو تقع في مشــكلة فغيرك فُصل من عمله، وطرد من بيته وأرضه، وســجن وضاع منه كل شــيء، وأنت أمامك ألف فرصة للتعويض.

- بلغ أحد السلف خبر موت ابنه، فما زاد على أن قال: قد بلغني ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

- وبلغ آخر بتر قدمه، فقال: الحمد لله الذي أخذ عضواً وأبقى الكثير.

- وبلغ ثالث مصيبــة بأهل بيته، فقال: «الحمد لله تعالى أنَّها لم تكن في الدين»..

وأنت ما زلت ممسك بباب بيتك تبكي على ظروفك، وتشتكي زمانك، وتندب حظك، وتنعي قدرك، وقد أبقى الله تعالى لك كل شيء.

- إنَّ الجرح الذي في قدمك يقابله ألف عافية في سائر جوارحك، والمرض الذي أصاب جزءاً من بدنك يقابله سلامة في أكثر حواسك! والنقطة السوداء التي تراها في واقعك مقابلة ببياضٍ لا يتسع له نظرك، وقل مثل ذلك في آلامك وظروفك وأحزانك؛ كلها مقابلة بنعيم يحتاج منك أن تلتفت إليه وتأخذ حظك من شكر نعم الله تعالى عليك.

- كم من إنسان مرض وقد عاش سنوات في عافية، ووقع في مشكلة وقد سلم منها سنين طويلة، وجاءه خبر مفجع وقد تلقى ألف خبر سار؛ فما لنا لا نحسن إلَّا رؤية الظلام، ولا نجري إلَّا في فلك الأحزان!..

- **يجب أن تعلم أنَّ طريقك نحو النجاح طويل، وثمة مشكلات وعقبات وأحداث ستواجهك في ذلك الطريق، ومن فقهك وكمال وعيك وعقلك: أن تنظر**

دائماً للجهة المقابلة، والأحـــداث الجميلة، والآفاق الواســـعة، وألَّا تحصر نفســـك في ظرف عارض، أو مشـــكلة طارئة، أو حدث جـــرى به قـــدر الله تعالى عليك، وكتب عليك من خمســـين ألف سنة قبل أن يخلق السماوات والأرض.



في مقابـل ظروفك وأحزانك ومشـكلاتك ألف نافذة للفأل والأمل.

* * *



• **الوهـــم كلمة مـــن ثلاثة أحـــرف تعنـــي: الضياع، والخوف، والفشل، والإحباط، وكل شيء مدمِّر في الحياة.**

الوهم يا صديقي كلمة تقتـــل في كل يوم ملايين البشـــر في أنحاء الأرض قاطبة، فلا تكن واحداً من أمواتها في العالمين.

إذا أردت أن تتعـــرَّف علـــى أخطـــر الأمـــراض، وأشـــدِّها فتكاً بصاحبهـــا، وأكثرها قلقـــاً؛ فلن تجد كالوهم يصنع كل ذلك، ويكتـــب على صاحبه أنواع الحرمان وهي في أبهج صورها.

ولو أنَّـــك نظرت بعيـــن وعيك وفقهـــك لرأيت كثيرين مرضى ومخفقين ومشرَّدين وشبه موتى، وكل ذلك من أثر الوهم.. ولو أنَّك سألت طبيباً في عيادته لأشبعك حديثاً حول أوهام المترددين عليه.

- **كثيرون اليوم مرضهم: الوهم، وسرُّ إخفاقهم: الوهم، وبقاؤهم مشرَّدين في عالم الحياة: الوهم!..**

- وقد قال أعظم محارب هندي في مذكراته: إنَّ كل قلق الهنود وتعاستهم تأتي غالباً من مخيِّلتهم وليس من الواقع! اهـ.

- وقال آخر: إنَّ العقل في مكانه وبنفسه يستطيع أن يجعل الجنة جحيماً، والجحيم جنة! اهـ.

وقد حكى **الشيخ علي الطنطاوي** رحمه الله تعالى: أنَّ مريضاً أعيى الأطباء علاجه، وهو يصيح في الليل والنهار ويقول بأنَّ في بطنه ثعباناً، وكلما أجرى الأطباء عليه الفحوص وجدوا ذلك مجرَّد وهم، وأنَّ الرجل لا مرض فيه، حتى وُجِد له طبيب لبيب حاذق، فاستقبله وكشف عليه، وقال له: الحقيقة أنَّنا وجدنا في بطنك ثعباناً، ويحتاج إلى تدخُّل جراحي.. فذهب وجاء بثعبان ووضعه في قارورة، وألبس الرجل لباس العمليات، ثم أدخله الغرفة فترة من الزمن، ثم أخرجه وقال له: لقد كنت صادقاً فيما تشتكي ولم يصدِّقك الأطباء.. ثم أراه الثعبان في تلك القارورة، فتهلَّل

وجهه، وأفاق من ألمه، وعاد يمشي من جديد، وقال: كنت أقول لكل الأطبـــاء: إنَّ في بطنـــي ثعباناً، ولم يصدِّقوا ما كنت أقول لهم.

- ومن أعظم ما ينبغـــي أن تفقهه في الطريق إلى نجاحك وبنـــاء مســـتقبلك: أن تســـتعصي على كل الأوهام العارضة في الطريق التي تبعث في نفســـك قلق النجاح، وأنَّه صعب ولا ســـبيل إليـــه، والبيئات لا تســـاعدك في بلـــوغ آمالـــك، والظـــروف صعبة، ووسائل ذلك الأمل تتلاشـــى كل يوم، ولم تعد أي فرص للنجـــاح.. ونحو ذلـــك ممَّا يجـــري في فلك الأوهام في حياة الآخرين.

يجـــب أنَّ تؤمن أنَّ كل شـــيء ممكـــن، وأنَّ في الحياة ألف فرصة، وأنَّ كل عقبـــة في الطريق مقابلة بحلول كثيـــرة جـــدّاً، وأنَّ الدنيا من فجـــر التاريخ ما صفت لبشـــر، وأنَّهـــا ما تقوم إلَّا على كـــدِّ البلاء والمحاولة والمعانـــاة حتى يـــأذن الله تعالى بالفرج، ويكتب حظها من النجاح.



ثمة مرضى يأكلون ويشربون ويسافرون ويعملون ولم يدخلوا مستشفى حتى الآن، وهم أخطر مرضى العالم كله حتى الآن.

* * *



٢٨
مِنَح الفرص

• كل الناجحين الذين تراهم أمامك **وجدوا فرصةً سانحة، فاغتنموها فصنعوا منها كل شيء.**

ولن تعرف قـدر الفرص في حياتـك حتى تقرأ فصول سيرة عكاشـة رضي الله عنه الذي يتردَّد اسمه على كل لسان وفي كل موقف: «**سبقك بها عكاشة**».

- وأصل هذا المعنى الكبير كله: أنَّ النبي ﷺ كان يوماً جالسـاً يحـدِّث صحابتـه رضـوان الله تعالى أجمعين، فقال: «**يدخل الجنة سبعون ألفاً بلا حساب ولا عقاب**».. وكان ضمن الجالسين، فلمَّا سمع الخبر قـام مسـتثمراً لتلـك الفرصـة العارضـة، فقـال: «يا رسـول الله، ادع الله أن أكون منهـم»! فقال ﷺ: «**أنت منهم**» في رسـالة ضخمة مفادها أنَّ اللحظات المدهشة تنحني للمبادرين!.

ولمّا سـمع الآخر ذلـك الخبر قـام يجري إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ «**سـبقك بها عكاشة**»! كأنَّه يقول له: الفرص تعرض وتزول، ومن لم يكن يقظاً لاستثمار المتاح منها فضلاً عن العارض لا يمكنه اللحاق!.

وقد قال أحد الكتاب ذات مرة: مشكلة الفرص أنَّها تأتي في ثـوب العمل. أي: إنَّهـا تحتاج إلى جهد وحركة ونشاط وقابلية حتى تأخذ موقعها من حياة صاحبها.

- ومثلك أوعى أنَّ فرصة عارضة ذهبت بِبَغِيٍّ إلى حلم يستعلي على الكتابة؛ فقد عرضت لها في عرض الطريق حين عطشـت، فنزلت تشـرب من ماء تلك البئر، فإذا بالفرصة تتزيَّـن لها في صورة كلب يلهث من شـدَّة العطش، وكان يمكنها بعـد أن رويت أن تذهب تسارع زمانها لتقضي حاجتها، ولكنَّها عادت لتروي ذلك الكلب.. فتأتي المنن بأثمن ما يكون في حيـاة زانية يُغفر لهـا ذنبها وتدخـل الجنة حلم كل إنسـان، قال ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيـفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ**

يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

وهل الإسلام إلَّا بعض مشاعر العطف والرحمة؟!.. وهل الإسلام إلَّا يد معروف تمتد في ساعة حاجة؟!..

- وذهبت الفرصة ثانية برجل حتى جعلته يتقلَّب في الجنان من جميل أثرها، قَالَ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاس**»..

وهل الإسلام إلَّا بعض مشاعر الإخاء؟!..

- وذهبت ثالثة برجلٍ لم يكن له في الخير عمل سوى تلك الفرصة السانحة من خلال ما أعطاه الله تعالى، قال ﷺ: «**إنَّ رجلاً لم يعملْ خيراً قطُّ، وكان يُداينُ النَّاسَ، فيقولُ لرسولِهِ: خذْ ما تَيَسَّرَ، واتْرُكْ ما عَسُرَ، وتجاوَزْ لعلَّ الله تعالى أنْ يتجاوزَ عنَّا. فلمَّا هَلَكَ قالَ اللهُ ﷻ له: هل عَمِلْتَ خيراً قَطُّ؟ قال: لا، إلَّا أنَّه كان لي غلامٌ، وكنتُ أداينُ النَّاسَ، فإذا بَعَثْتُهُ لِيتقاضَى قلتُ لَه: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، واتْرُكْ ما عَسُرَ،**

وتجاوَزْ لعلَّ اللهَ يتجاوزُ عنَّا. قال اللهُ تعالى: قد تجاوزتُ عَنْكَ»..

وهل الإسلام إلَّا بقايا يد معروف لمحتاج؟!..

• **إنَّ الفرصة يصنعها الإنسان لنفسه، لا ينتظرها حتى تأتي، فإن لم يتمكّن من صناعتها وأتت في لحظة من اللحظات على غير ميعاد لم يتركها، أو حتى يدع لها فرصة للفوات.**

- وقد بلغك قصة عجوز بني إسرائيل التي قال فيها ﷺ: «**أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل**»! فقال أصحابه: يا رسول الله! وما عجوز بني إسرائيل؟.

قال: «**إنَّ موسى لمَّا سار ببني إسرائيل من مصر؛ ضلوا الطريق فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: نحن نحدثك: إنَّ يوسف لمَّا حضره الموت؛ أخذ علينا موثقاً من الله ألَّا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا. قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: والله ما ندري أين قبر يوسف إلَّا عجوز من بني إسرائيل. فبعث إليها فأتته فقال: دلوني على قبر يوسف. قالت:**

لا والله؛ لا أفعل حتى تعطيني حكمي. قال: وما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة. فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة؛ (موضع مستنقع ماء) **فقالت: أنضبوا هذا الماء، فأنضبوا. قالت: احفروا واستخرجوا عظام يوسف. فلمَّا أقلوها إلى الأرض؛ إذا الطريق مثل ضوء النهار**».

- وأعجب قصة في انتهاز الفرص تلك التي ترجمها الصحابي الجليل **خزيمة بن ثابت** في زمن النبي ﷺ، حين باع أعرابي فرساً لرسول الله ﷺ، ثم أنكر الأعرابيّ البيع، ولم يُشهد النبي ﷺ في تلك البيعة أحداً، فأقبل خزيمة بن ثابت رضي الله عنه فقال: أنا أشهد يا رسول الله أنَّك اشتريته منه! فقال الأعرابي: أتشهد ولم تحضرنا؟ وقال له النبي ﷺ: «**أشهدتنا؟**» قال: لا يا رسول الله، ولكن علمت أنَّك اشتريته، أفأصدِّقك بما جئت به من عند الله ولا أصدِّقك على بيعة هذا الفرس! فعجب له النبي ﷺ وجعل شهادة خزيمة بعد ذلك بشهادة رجلين!..

ـ وما قصة غلام الأخدود سوى فرصة لاحت في عرض الطريق فاستثمرها، فتحقَّق له توطيد توحيد الله تعالى في الأرض، لقد كانت الفرصة التي لاحت لغلام الأخدود في ثوب المغامرة، والموت، والنهاية، لكنَّها كانت هي الفرصة بذاتها حين قال للملك الذي يريد قتله، وينكر ربه، وبين تلك الجموع الغفيرة التي تنتظر تلك النهاية: إذا كنت تريد قتلي فخذ سهماً من كنانتي، ثم انصبني على جذع شجرة، ثم قل: «**بسم الله ربِّ الغلام**» ففعل ذلك الملك، وقال: «**بسم الله ربِّ الغلام**» وأطلق ذلك السهم، وودع الشاب دنياه كلها، وكانت الفرصة التي لا مثيل لها أن قالت تلك الجموع الكافرة في لحظة الفرصة «آمنَّا بربِّ الغلام» فكم له من سهم هذه الفرصة بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وقد بلغك من قول نبيك ﷺ: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم**».

وما يصنع مثلك لحظتها بفرصة بسطت رقعتها الخضراء في مساحةٍ ما حتى إنَّ النار بها صارت ربيعاً يتهافت عليه الخلق!..

- وإذا كانت الفرص بهذا المعنى الكبير، فلا أقل من أن تؤمن بأنَّها تزدلف بين يديك، ولن يأتي زمان بزوالها، فكن بطلهـــا الأول، واكتب حظك منها كما تشـــاء، ولعل زماناً يعيد لنا الذكريات بأحداثك في الحياة.



ثمة فـرص للوظيفـة، وفرص للجمـال، وفرص للمـال، وفـرص تبقـي صاحبهـا حيّـاً ما بقيت الحياة.

***

الفهرس

* * *